www.ALMKTabah.com

تفسير التفاسير

(١)

المعاني المستنبطة

من سورة الفاتحة

القسم الأول

تأليف

أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

(محمد بن عمر بن عبد الرحمن العقيل)

عفا الله عنه

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

مكتبة و دار ابن حزم للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين نحمده ونعبده ونستعينه.. الله ربُّنا وعباده فقراء إليه، وهو الرحمن الرحيم، ورحمته وسعت كل شيء وستكتب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والفقير محتاج إلى عطاء الله عز وجل ومَنِّهِ وكرمِهِ: يستعين بخالقه القوي العزيز البَرِّ الودود، ويستغيث به ويتضرَّع إليه إذا أصابه ضُرٌّ؛ فيكشف عنه ما أصابه ، ويسبغ عليه ما شاء من فضله، ولا تنفعه الاستغاثة بسواه .. والمستغيث بغير القوي مالك السموات والأرض سبحانه كالغريق الذي يطلب العون من غريقٍ مثله .. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ والغريق الذي لا يحسن العوم لا يملك لنفسه نفعاً ولا نجاة ، وفقر العبد إلى الله عز وجل أمرٌ ذاتي .. والمؤمن لا يسأل مُنشِئَه من العدم إلا ما هو مباح له : يُقِرُّ بعبوديته له ولا يلجأ إلا إليه ، ولا يدعو غير الله تعالى عند نازلات الأيام ومصائب الدهر .. إنه قريب أقرب إلينا من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعي قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة / ١٨٦]] .

أبوعبد المعز الظاهري
www.ALMKTabah.com
١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

[ولَم أرَ كالدُّنيَا تَصُدُّ عن الذي

يودُّ مُحبُّــوها فيَحسُــنُ صدُّهــا

وتَسْقِيهُمُ منها الأُجَاجَ مُصَرَّدَاً

وكيف بها لو طَابَ للقومِ عَدُّها ؟

أراهَا على كلِّ العُيــوبِ حَبيبــةً

فيا لقُلُــوبٍ قـد حَشَـاهُنَّ وُدُّهَــا

وحُبُّ بني الدُّنيا الحيــاةَ مُسيئــةً

بِهِم ثُـلْمَةٌ بالنَّفْــسِ أعْوَزَ سدُّهـا

سقى اللهُ قلباً لم يَبِـتْ في ضُلوعِهِ

هَواهَا ولَم يطرُق نواحِيهِ وَجْدُهَا

تَخَفَّفَ مِنْ أزوَادهــا مِلءَ طَوقِـهِ

فَهَانَ عَليـه عنـدَ ذلـكَ فَقْدُهَــا

الشريف المرتضى .]

ⓒ مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع بالرياض ،١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الظاهري ، أبوعبدالرحمن ابن عقيل
المعاني المستنبطة من سورة الفاتحة ـ الرياض
١٣٠ ص ، ٢٠ سم
ردمك : ٩٩٦٠-٧٩٥-٥٦-x
١- القرآن ـ سورة الفاتحة - تفسير أ- العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ٢٣/٢٨٠٣
رقم الإيداع : ٢٣/٢٨٠٣
ردمك : ٩٩٦٠-٧٩٥-٥٦-x

[إذا شَيَّدَ الإنسَــانُ أبْنيَةَ التُّقَى
وَغادَرَهَا بالحِرصِ وهي شَوامِخُ
فذَاكَ الذي يَأوِي إلى حَسَنَـاتِــهِ
فَتَعْصِمُه فيهــا جِبَـالٌ رَوَاسِـخُ
ومَنْ صَحِبَ التَّقْوَى فلَيسَ بنَادِمٍ
إذا صَرَخَتْ يَوماً عليه الصَّوارِخُ
الشريف العقيلي .]

* * *

مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع
المركز الرئيس- الرياض : شارع السويدي العام - هاتف وفاكس ٤٢٧٥١١٧
ص .ب : ٢٢٥٦٦ الرياض الرمز البريدي : ١١٤١٦
ط م نجد التجارية / الرياض
الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ

أبو عبد الله الظاهري
www.ALMKTaBah.com
١٤٣٠هـ

تفسير التفاسير :

(١)

المعاني المستنبطة

من سورة الفاتحة

- القسم الأول -

* * *

[عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الربُّ عز وجل : من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .. حديث حسن .. مختصر سنن النسائي ص٤٣٠ رقم الحديث (٢٩٤٧)].

أَلَّفه :

أبوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
(محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل)
- عفا الله عنهم -

[ذكروا في الشروط الدالة على حصول المَلَكَة في العلم أموراً، وهي : المعرفة بأصول أي علم كان ، وما يُبنَى عليه ذلك العلم ، وما يلزم عنه ، والقدرة على التعبير عن مقصوده ، وعلى دفع الشُّبَه الواردة عليه فيه .

ابن الأزرق.

* * *

قال الإمام أبومحمد ابن حزم رحمه الله تعالى رادًّا على مَنْ أَوَّلَ عقيدة التثليث ؛ فجعل « ابن الله » بمعنى علم الله : « ادَّعَى بعضُهم أنَّ هذا تقتضيه اللغة اللاتينية : من أنَّ علم العالِم يُقال فيه : إنه ابنه .. قال أبومحمد : وهذا باطل ظاهر الكذب ؛ لأن الإنجيل الذي كان فيه الأب والابن وروح القدس : لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نُقِل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها ، فَعُبِّر عن تلك الألفاظ العبرانية بها .. وكان فيه ذكر الأب والابن وروح القُدُس ، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذُكر وادُّعي »] .

الاستفتاح، والمقدمة:

الحمد لله الذي شرح الصدور بآيات أحكامه ، وأبدع نظام المصنوعات بما أظهر من إتقان صنعه وإحكامه ، ونقش في الصُّحف السَّماوية أدِلَّة المعقول والمنقول الفاصلة بين حلاله وحرامه .. جعل للمجتهدين أصولاً تنضبط بها الأدلة ، وأطلع لهم في آفاق كتابه الكريم أنواراً تقاصرت عن وضوحها الشموس والأهلَّة ، وأزاح عنهم بما شرع في فرقانه الناطق بالبيِّنات كل شبهة وعلَّة .. أكرمنا سبحانه بتنزيله ، وشرَّفنا بمعرفة تأويله ، وشفى صدورنا بواضح بيانه ، وهدانا من الضلالة وعماية الجهالة به ، وجعله ميزان قسط لا يحيف عن الحق سلطانه، وضوء هدى لا يُجتنى من الشهاب نور برهانه ، وعلم نجاة لا يضل من أَمَّ قصد سنته ، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته .

وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له .. شهادةَ من يعتصم بحبله ، ويأوي في الشبهات إلى حرز عدله .. وأشهد أن

محمداً عبدُه ورسولُه ، وصفيُّه ونبيُّه .. أرسله ببيان أوضحه ، ولسان أفصحه ، وشرعٍ شرحه ، ودين فسحه ؛ فلم يَدَعْ صلوات الله عليه فساداً إلا أصلحه ، ولا عناداً إلا زحزحه .. صلوات الله عليه ما هلَّل ملَكٌ وسبَّحَه[1] ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فمنذ أزيد من عشرين عاماً كنت أُلقي بإذاعة المملكة العربية السعودية تفسيراً مباركاً أجمع مستمعوه ـ بدلالة ما تواتر عندي من إخبارٍ بذلك ـ على استحسانه ، وظللتُ عدة سنوات أُلقيه إلى أن حال بيني وبين إتمامه كثرة الشواغل ، وأعادوا إذاعته بعد ذلك ثلاث مراتٍ غير متتابعات ، وظللتُ في أوقات النشاط أكتب تفسيراً لبعض الآيات الكريمات على منهجه .. إلاَّ أنَّ الآيات كانت انتقاءً ، ولم تكن وفق ترتيب القرآن الكريم .. ولا

(١) قال **أبوعبدالرحمن** : استعرتُ استفتاحي من استفتاحَيْ الكيَاالهراسي لكتابه « أحكام القرآن » ، ومحمد بن الحسن الزيدي لكتابه « منتهى المرام » .

أزال على هذه المتابعة ، ثم رأيتُ معاودة ما كتبته بالتهذيب والإضافة والحذف ، وتجزئته ؛ فمنه ما ألحقته بمؤلفاتي الفقهية أو الحديثية أو الأصولية أو اللغوية ، ومنه ما جعلته ضمن تحشيتي على تفسير الشوكاني « التقرير والتحرير » ، ومنه ما جعلته مؤلفاً مستقلاً في سلسلة تفسير التفاسير وهو الأكثر ، ثم أحيل إليه أو آخذ ملخصه في « التقرير والتحرير » . وما أردتُ بتفسير التفاسير الادِّعاء بأنه أُمُّها ، وإنما أردتُ عنايته بما غمض من كتب التفسير؛ فكان تفسيراً لها .. ولا سيما كتب الحواشي على الكشاف والبيضاوي ، وأكثرها عَسِر الأسلوب ، كثير الاختصار إلى ما يشبه الرموز ، مشحون بالمصطلحات البلاغية والمنطقية وغيرها .. والإخراج الفني الحديث يلزم عنه ضرورةً وجودُ بياض صفحات كاملة ، أو بعض صفحات .. وهذا اللازم تشويهٌ ، وتورُّمٌ للكتب ؛ لهذا كان منهجي في جميع كتبي المستأنفة مَلْءَ الفراغِ بنصوص مفيدة تكون بين معكوفتين هكذا : [ ] .. ومن التشويه والتورُّم إنهاء الجملة بنقطة ثم البدءُ بسطر جديد ؛

لهذا كان منهجي مَلْءَ السطر ، والاستعاضة عن النقطة الواحدة بنقطتين أُفقيتين هكذا « .. » ؛ دلالةً على انقطاع جملة ، واستئناف أخرى .. ولا أبدأ السطر إلا بابتداء موضوع جديد ، وكل ذلك حسب اجتهادي في التقنين لعلامات الترقيم[٢] ، وحسب منهج الأسلاف في شحن الطرة والهوامش والحواشي بالفوائد .. ودَعْكَ من ترك البياض إلاَّ لنصٍّ يريدون إلحاقه في مخطوطاتهم .

ومن الله أستمدُ العونَ ، وأستلهم الرشدَ ، والحمد لله عوداً وبدءاً ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام

(٢) نشرت حلقة واحدة عن اجتهادي في علامات الترقيم بمجلة الفيصل، ولم أواصل نشر بقية ذلك ، وجعلته عدةً لمواد كتابي « رسم القلم ورموزه » الذي سَيُعْنى بالرسم الإملائي ، وعلامات النُّسَّاخ ، ورموز العلماء الاصطلاحية العامة أو الفردية .. ويدخل في ذلك بعض الألغاز كما في الريحاني والأبجدي والدرسعي عند العوام ، مع البحث عن أصول ذلك عند العلماء من المعميات .

على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه لكم:

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

-عفا الله عنه -

الرياض / فجر يوم السبت الموافق ١٤٢٢/٨/٤هـ ، ثم تمت المعاودة منتصف الليلة التي صبيحتها يوم الأحد الموافق ١٤٢٢/٩/١٠هـ ، ثم تمت المعاودة بجدة فجر يوم الاثنين الموافق ١٤٢٢/٩/٢٥هـ ، ثم تمت المعاودة منتصف الليلة التي صبيحتها يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٢/١٠/٢٤هـ في استفطمتي براً جنوب تونس ، ثم تمت المعاودة في ١/٩/ ١٤٢٣هـ بالرياض ، ثم تمت المعاودة ظهر الثلاثاء الموافق ١٤٢٣/٢/٣هـ [١٦ إبريل ٢٠٠٢م] في جنيف ، ثم تمت المعاودة فجر الأربعاء ١٤٢٣/٣/١٠هـ بأغادير بالمغرب ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

[ثمانيةٌ تجري على الناس كلهم ولابد للإنسان يلقى ثمانيةْ
سرورٌ وحزنٌ واجتماعٌ وفرقةٌ وعسرٌ ويُسرٌ ثم سقمٌ وعافيةْ
تحشية شيخنا عبدالفتاح أبوغدة رحمه الله على رسالة المسترشدين للمحاسبي ص٨٦] .

[قال محمد بن علي بن إسماعيل القفال في تفسيره : « ذكر الله في أقاصيص بني إسرائيل وجوهاً من المقاصد :

أحدها : الدلالة على صحة نبوَّة محمد ﷺ ؛ لأنه أخبر عنها مِنْ غير تعلُّم ؛ وذلك لا يمكن إلاَّ بالوحي .

الثاني : تعديد النعم على بني إسرائيل ، وما مَنَّ الله على أسلافهم من الكرامة والفضل : كالنجاة من آل فرعون ، وفَرْق البحر لهم ، وما أُنزل عليه في التِّيه مِنْ المَنِّ والسَّلوى ، وتفجُّر الحجَر ، وتظليل الغمام .

الثالث : إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعنُّتِهم على الأنبياء ؛ فكأنه تعالى يقول : إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيِّهم الذي أعزَّهم الله به ، وأنقذهم من العذاب بسببه : فغير بِدْع ما يُعامِلُ به أخلافهم محمداً ﷺ .

الرابع : تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي ﷺ من نزول العذاب بهم كما نزل بأسلافهم » .

البرهان للزركشي ٣/١١١-١١٢ .]

١ ـ قال **أبوعبدالرحمن** : اشتملت سورة الفاتحة على أنواع التوحيد للرب سبحانه وتعالى : وصفاً ، وفعلاً ، وتعبُّداً من المخلوق .. وبيان ذلك أن اسم الله الأعظم (الله) الذي لا يشركه في التسمِّي به أحدٌ : أثبته الله نصاً في قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، وأثبت مقتضاه ـ وهو صرف العبادة لله وحده ـ بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .. وأثبت توحيد الربوبية بنوعَيه ؛ لأن لله ربوبية عامة يدخل فيها عباد الله كوناً ، وربوبية خاصة يختص بها عباد الله كوناً وشرعاً من المؤمنين المطيعين ؛ فورد النصُّ بالربوبية العامَّة في قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وقرن بالربوبية صفة الرحمن وهي صفته الذاتية المحضَة[٣] .. ثم ذكر صفة الرحيم التي يصدر عنها فعله الاختياري ، وعلَّق بها الطلب الخاص وهو طلب الهداية .. ووجه هذا التعليق أنَّ الطلب متعلق بصفة قوم نالوا

(٣) الرحمن صفة ذاتية لزومية ، والرحيم صفة ذاتية يصدر عنها فعله الاختياري غير اللازم ، وقد بيَّنتُ مقتضى هذا التمييز في تفسير التفاسير المذاع بالفرق بين دلالتي الصيغتين .

الهداية الصادرة من صفة الرحيم ، ووردت الإشارة إلى النوع الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات[٤] بالحصر في قوله :

(٤) كثيرٌ من البدعيين ينكر التقسيم إلى توحيد ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ، ويراه بدعة .. ومعلوم أن المسلمين لما انتقلوا من الأُميَّة إلى الكتابة والعلم احتاجوا إلى الاصطلاح الخاص الذي هو عُرْف أهل التخصص العلمي .. وقد يتأخر الاصطلاح إلى وقت وجود لبسٍ وشُبَهٍ .. والعبرة في صحة الاصطلاح والتقسيم : صحةُ وجودِه في العلم الذي تفرَّع عنه الاصطلاح ، وصحة القسمة الحاصرة ، وما يتميَّز به كل قسم من حكم .. وبما أن العلم هاهنا شرعي عقدي : فقد دلَّ الاستقراء الحاصر على أنَّ ما يليق بربنا سبحانه تفصيلاً هو ما أثبته لنفسه من صفات ، ثم دلَّ الاستقراء على أنها قسمان : ما يتعلَّق بأوصاف ذاته سبحانه الملازمة والاختيارية – أي التي يصدر عنها فعل اختياري – كالسميع والكريم ؛ فذلك هو توحيد الأسماء والصفات ؛ لأنه دعاء لله سبحانه بأسماءٍ وصفاتٍ مُعيَّنة .. وصارت أسماءً ؛ لأن معانيها على وجه الكمال وبلوغ الغاية لا يملكها غيره .. وله الكمال المطلق بالتنزه عن النقص ، والمثل الأعلى من الكمال فيما ورد من النصوص النافية للنقص في مثل قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؛ فالحمد المطلق إنما هو لله وحده بمقتضى كماله جلَّ جلاله، ومبنى توحيد الأسماء والصفات على الكمال .

ح ـ ومن معاني السورة الأمر بحمد الله .. وبيان ذلك أنَّ الآية خبر بصيغةٍ تدل على استحقاق الله للحمد وحده ؛ فيجب أن يُصرف له الحمد وحده استحقاقاً ، والامتناع عن ذلك ظلم ؛

[سورة البقرة /٢٥٥] .. ثم وُجِد في الاستقراء أنَّ هذه الأسماء الحسنى يصدر عنها أفعال من الله في ملكه خلقاً وتدبيراً وملكاً وقيُّومية ونعمة ونقمة ؛ فكان ذلك هو توحيد الربوبية .. وجاءت النصوص بالعبادة لله وحده ؛ لأنه المستحق لها وحده ؛ فهي من مربوب إلى الرب ، ومن عاجز إلى القادر ، ومن فقير إلى الغني ؛ فكان ذلك هو توحيد الألوهية .. ولا يتصور العقل ولا يجد في الشرع غير هذه القسمة الحاصرة .. وأُضيفت الوحدانية إلى الأقسام الثلاثة ؛ لأن صريح الأدلة قطعي على أنه واحد في صفاته ، وصفات أفعاله لا يشركه فيها أحد ؛ فرتَّب على ذلك توحيده بالعبادة كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء/ ٢٥] .

ولهذا كان الشرك ظلماً عظيماً .. كما أن تلاوة السورة شرط لصحة الصلاة على القادر ، والتلاوة مطلوبة خارج الصلاة ؛ فالخبر من الله بأن الحمد لله (مع الأمر بالتلاوة ، واشتراط الحمد في الصلاة) : تعليم للخلق أن يمتثلوا بالاعتراف عقيدة : بأن الحمد لله ، وأن يمتثلوا ذلك نطقاً .

٣ـ ومن معاني السورة الإيماءُ إلى أنَّ الله المستحق للعبادة وحده من وجه آخر ، وهو الخبر بأنه سبحانه مالك يوم الدين ؛ فالحق أنْ لا يُعبد غير مالك الجزاء المتفرد به .

٤ـ وقامت السورة الكريمة على إخبار وأمر ونهي ؛ فالخبر عن اسم الله ، وعن صفتيه الرحمن والرحيم ، وعن صفته بأنه مالك يوم الدين .. والأمر هو التوجيه بقصر العبادة عليه سبحانه في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، والنهي هو التوجيه بمزايلة سبيل المغضوب عليهم والضالين ؛ فذلك نهي عن اتباعهم ؛ لأن استثناءهم من المهديين المطلوب الهداية إلى صراطهم ، ووصفهم بأنهم مغضوب عليهم وضالُّون : يقتضي

النهي عن سبيلهم بضرورة العقل .. وبما أن الخبر والأمر والنهي من أجل تحديد صراط المكلف (اعتقاداً ، وقولاً ، وفعلاً) ، وبما أن ثمرة فعل المكلف ما يترتب عليه من جزاء : فقد جاء ترتيب سياق معاني السورة لإقامة الحجة على المكلف بأن عبادته لربه هي المتعيِّنة عليه استحقاقاً ، وأن مجازاته على الخير بخير ، وعلى الشر بشر هي العدل .. وبيان ذلك أن الله قدَّم الخبر ـ وهو أمر ضمناً ـ بأن الحمد له ، وذلك باسمه الأعظم (الله) ؛ لأنه يستحق الحمد المطلق بمقتضى كماله وألوهيته وربوبيته .. ثم ذكر اسم الرحمن لأنه أعمُّ معاني ربوبيته ، وأنفعها للخلق ؛ لكونه صفة ثبوتية .. وذكر اسم الرحيم الذي يصدر عنه فعله الاختياري ، وبمقتضاه يطلب العبد الهداية الخاصة إلى صراط الله المستقيم ؛ لتكون عبادة الله المأمور بها في السورة (وفق مراد الله) بريئة من عناد المغضوب عليهم ، وجهل الضالين .. ثم جاء الوصف الرابع المقيَّد وهو ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ إيذاناً بحتمية الجزاء والحساب ؛ فدلَّ على أن أمر الله الشرعي يملك العبد عصيانه في الدنيا ، ولكنه لا

يستطيع الفرار عن جزائه في يوم القيامة ؛ من حيث لا حريَّة للعاصي في الفرار كما هو حُرٌّ في الطاعة والعصيان بدنياه .. وتضمَّنت السورة الكريمة أعمَّ أسماء الله الذي يصدر عنه ربوبية الله ومِنَّتُه على خلقه ؛ ولهذا يرى الإمام الجليل ابن قيم الجوزية : أنَّ الأسماء الثلاثة (الله ، والرب ، والرحمن) هي المرجع لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا(٥) .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا صحيحٌ ، ولكن ليس بإطلاق ، بل بتفصيل ؛ فاسمُ الجلالة (الله) هو المرجع ؛ لأنه اسم الله الأعظم ، ولأن كل اسم آخر وصفٌ لاسم الجلالة ، ثم يكون كل اسم من أسماء الله مرجعاً للأسماء الأخرى بمقتضى المقام ؛ فإذا أُريدت الربوبية بمعنى هيمنة الله : فمجامع الأسماء العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر.. وإذا أُريد معنى ربوبية الله بمعنى اللُّطف، وإشعار المكلفين بفقرهم إلى ربهم ، وإظهار مِنَّة الله جلَّ جلاله عليهم :

(٥) مدارج السالكين ١/١٣ .. طبع ونشر دار الحديث بالقاهرة .

أصبح اسما الرحمن والرحيم من مجامع الأسماء في هذا المقام مع ما سبق من معاني الهيمنة والملك والتدبير بالنعمة والنقمة .

٥ - وتضمَّنت السورة الكريمة التلازم بين كمال الرب والواجب على العبد من خلال الأسماء والصفات .. وبيان هذا التلازم : أنَّ الله ذكر ربوبيته بقوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وأنه الله المستحق للحمد وحده ؛ فرتَّب على ذلك أمره الكريم بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ .. وذكر خصوصية ربوبيته للمؤمنين الذين هداهم برحمته الصادرة عن صفة الرحيم ؛ فرتَّب على ذلك أمره الكريم : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

٦ - واستدلَّ ابن قيِّم الجوزية بقوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ على إثبات النبوات ، ولم يُحدِّد رحمه الله وجه الدلالة، وإنما أسهب في شرح معنى طلب الهداية ، ثم ختم ذلك بقوله : فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير، والسلامة من كل شر(٦) .

(٦) مدارج السالكين ١/١٥-١٦ .

قال **أبوعبدالرحمن** : قد بيَّنَ ابن القيم : أن الرسالة رحمة ؛ فهي خير ؛ فتدخل في المطلوب من قولنا : ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ .. ولا يُفهم بأي وسيلة لغوية : أن قوله تعالى : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ دال على ثبوت الرسالة ووجوبها ، وإنما تدل الآية فحسب على أن العبد المخلوق الضعيف مطلوب منه أن يلجأ إلى ربه ؛ فيطلب منه أن يهديه ما هدى إليه النبيين والمرسلين والصالحين من الحق والخير والفلاح .

واستدل ابن قيم الجوزية على إثبات النبوات بقوله تعالى : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ من وجهٍ آخر ، وهو أن الطريق لا يكون صراطاً إلاَّ بالاستقامة ، والإيصال إلى المقصود ، وسعته للمارِّين عليه ، وتعيُّنِه طريقاً للمقصود[٧] .. ولم يُبيِّن وجه الدلالة بأكثر من ذلك ؛ فظهر لي والله أعلم : أنه أراد أنه لا يُوجد صراط مستقيم بهذه الصفة إلاَّ ما جاء بواسطة كتب الله سبحانه ورسل

(٧) مدارج السالكين ١/١٦ .

الله عليهم الصلاة والسلام؛ فهو دليل على إثبات النبوات ووجوبها.

قال **أبوعبدالرحمن** : لا دلالة على وجوب النبوات وإثباتها من نفس هذه الآية ، وإنما الدليل على ذلك من نصوص شرعية أخرى ، والذي في الآية الإيماء إلى أن دين الله الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام صراط مستقيم ؛ فالآية دليلٌ على صفة الرسالة بعد ثبوتها ؛ وليست دليلاً على وجوبها وإثباتها .

واستدلَّ ابن قيم الجوزية رحمه الله على إثبات النبوات ووجوبها بقوله تعالى : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، وقد فسَّر ذلك بقوله : « ففي ذِكر المنْعَم عليهم (وهو مَنْ عَرَف الحق واتبعه) ، والمغضوب عليهم (وهو من عَرَفه واتَّبع هواه) ، والضَّالين (وهم من جهله) : ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة ؛ لأن انقسام الناس على ذلك هو الواقع المشهود ، وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة[٨] .

قال **أبوعبد الرحمن** : نعم هذا صحيح ، فإن الرسالة بعد ثبوتها

(٨) مدارج السالكين ١/١٨ .

ووجودها أسفرت عن مُتَّبِعٍ للحق ، وجاهلٍ به ، وضالٍّ عنه معاند فيه ؛ فليست الآية دليلاً على ثبوت الرسالة ، وإنما هي بيان لحال الناس أمام الرسالة بعد وجودها وثبوتها .

٧ـ قال **أبوعبدالرحمن** : القسمة من وسائل المنطق البشري ، وهي إحدى البراهين في أصول الفقه ؛ فإذا حصرتَ أقسام الشيء ، وبيَّنتَ حكم كل قسم إلاَّ واحداً : فلابد أن يكون حكم ذلك القسم مغايراً .. وهذه القسمة فطرية في عقول البشر ؛ ولهذا جاء الشرع من القرآن والسنة مخاطباً العقول بما فُطِرت عليه .. وفي سورة الفاتحة استنبطنا القسمة الحاصرة من قوله تعالى : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ؛ فعلمنا أن المقصودين من المسلمين واليهود والنصارى لا يخرجون عن قسمين إما مهتدٍ ، وإما غير مهتدٍ .. والمهتدي قسم واحد هو من اتَّبع الشرع ، وغير المهتدي قسمان : إما معاندٌ كاليهود ، وإما ضالٌّ كالنصارى .

وكل من أراد أن يعبد الله بما لم يشرعه الله من توسُّلٍ بقبر

صالح ، أو الاهتداء بتشريع غير معصوم ـ من صوفي ، أو ممن تُدَّعى له العصمة ، أو الاهتداء من حكايات ومنامات ـ : فهو من الضالين .. والضلال متفاوت الدرجات ؛ فمنه ضلال بدعةٍ محرمة لا تخرج من الملة ، وضلال كفر .. ومَنْ ذكرتُه آنفاً لا ينفعه ما يدَّعيه من حسن النية ؛ لأن الله تكرَّم بإنزال الكتب ، وإرسال الرسل ؛ فبيَّنوا للناس مراد الله منهم ، وألاَّ يُعبد الله إلا بما شرعه الله ؛ فالسورة الكريمة متضمنةٌ النهي عن ضلال البدع المخالفة للصراط المستقيم ؛ بدافع الجهل والرغبة عن أهل العلم ، أو بدافع الشُّبهة مع العناد والحميَّة للإلف والعادة، أو بدافع شهوات المكانة، وبُعْدِ الصِّيت ، والرئاسة والخبز الخبيث .

٨ ـ وتتضمن السورة الأمر بطلب الهداية إلى الجنة يوم القيامة بقوله: ﴿ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ﴾ ، ووجه هذه الدلالة أنَّ الله بيَّن لنا أنه مالك يوم الدين (وهو يوم الجزاء في يوم القيامة) ، ثم أمرنا بأن نطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم ـ بعد أن أمرنا ، ومهَّد لنا : بأن نُقِرَّ بأنَّ عبادتنا لله وحده ، واستعانتنا به وحده ـ ، وبيَّن لنا أنَّ

الصراط المستقيم الذي نطلب الهداية إليه والتوفيق على سلوكه هو صراط مَنْ أنعم الله عليهم .. ومن نعمة الله عليهم أن أدخلهم الجنة؛ فكان كل ذلك مستلزماً الدلالة على طلبنا الهداية إلى الجنة .

فإنْ قال قائل : كيف تكون الآية دالَّة على الهداية في الدنيا ، ثم تكون في الوقت نفسه دالَّة على هداية الآخرة ؟ .. وكيف تتسع الآية لدلالات كثيرة ؟ .. **فالجواب**:أنَّ كل جملة من كلام الله جلَّ جلاله تدل بدلالة المفردة ، ودلالة الصيغة ، ودلالة الرابطة ، ودلالة السياق، ودلالة القرائن ، ودلالة المطابقة والتضمن واللزوم.. ولا يجوز لنا التنازل عن عموم كل هذه الدلالات حتى يقوم برهان على خلافه بتخصيص أو تقييد أو إلغاء .. واستجلاب معاني الشرع من الدلالات المتعددة ـ دون أن يُحَمَّل النص ما لا يحتمله بلغة العرب ـ هو الفقه في الدين ، والعلم بالتأويل الذي دعا به رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما .. بشرط وجود دلالتي التصحيح والترجيح .. ويدل على أن عموم هذه الآية مراد (وهوطلب بيان الحق في الدنيا ، وطلب التوفيق له ، وطلب الهداية

إلى الجنة في الآخرة) : أن الله سبحانه وتعالى جعل سلوك الصراط في يوم القيامة وَفْقاً لسلوك الصراط المستقيم في الدنيا ، وهذا ما بيَّنه ابن قيم الجوزية بقوله : « فمن هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه : هُدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصِّل إلى جنته ودار ثوابه .. وعلى قدر ثبوت قَدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم ، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط ؛ فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كلمح الطرف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشدِّ الركاب ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يحبو حبواً ، ومنهم المخدوشُ المسلَّم ، ومنهم المكردس في النار[٩] .. وما ذكره ابن قيم الجوزية هو منطوق الحديث الشريف الصحيح .

(٩) مدارج السالكين ١٦/١ .. وعن الحديث قال الإمام سعيد بن

.....

منصور في سننه ٢/٥٢٥ : « حدثنا سعيد قال : نا سُويد بن عبدالعزيز قال : نا حُصين بن عبدالرحمن قال : حدثني مُرَّة الهَمْداني : عن ابن مسعود [ﷺ] قال : الصراط على النار يَمرُّ أولُهم مثل البرق، ثم كالطير ، ثم كالفرس الجواد .. وآخرهم يَمُرُّ حَبْواً والملائكة قيام معهم كلاليب من نار يخطفون الناس يميناً وشمالاً حتى يقذفوهم في النار » .. وضعَّفه محقق الكتاب الدكتور سعد بن عبدالله آل حُميِّد بضعف سويد، ولكنه حكم بصحته لغيره ـ وهو كما قال ـ ، وذلك بحشده لطرقه عن ابن مسعود ﷺ ، ثم قال : «وعليه فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح عن ابن مسعود ﷺ على الخلاف في رفعه ووقفه .. وهو وإن كان موقوفاً إلا أنَّ له حكم الرفع؛ فمثله لا يُقال بالرأي، وقد جاء مرفوعاً في الصحيحين من غير طريق ابن مسعود ﷺ ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه (١٣،٤٢٠-٤٢٢ رقم ٧٤٣٩) في التوحيد، باب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة /٢٢-٢٣]، ومسلم في صحيحه (١/١٦٧-١٧١ رقم ٣٠٢) في الإيمان / باب معرفة طريق الرؤية .. كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً ، وفيه : « **ثم يُضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون : اللهم سلِّم سلِّم**» .. قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ .. قال : «**دحض مزلَّة ، فيه خطاطيف وكلاليب**

قال **أبوعبدالرحمن** : ويُسْرُ الشريعة الإسلامية وشمولها : معانٍ يُستَدلَّ عليها بالأدلة الكثيرة .. ومن تلك الأدلة ما نستنبطه من قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؛ فالاستقامة تعني أنَّ ما استقمت عليه هو أقرب إلى الصراط المقصود ، وهذا معنى اليسر .. وكون الناس كافة مأمورين بسلوكه يعني سعته ، وهذا معنى الشمول .. قال ابن قيم الجوزية : « لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور : الاستقامة ، والإيصال إلى المقصود ، والقرب ، وسعته للمارِّين عليه ، وتعيُّنه طريقاً للمقصود .. ولا يخفى تضمُّن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة ؛ فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه ؛ لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين ، وكلما تعوج طال وبعد .. واستقامته تتضمن إيصاله

وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها : السَّعدان ؛ فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ؛ فناج مسلَّم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم » .. الحديث بطوله ، واللفظ لمسلم » .

إلى المقصود ، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته .. وإضافته إلى المنعم عليهم ، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيُّنه طريقاً »[١٠] .

قال **أبوعبدالرحمن** : الاستقامةُ صفة للصراط مفهومة بناحيتين :

أولاهما: اللزوم اللغوي ؛ لأن الصراط في اللغة بمعنى الطريق المستسهل ، والاستقامة من ظواهر السهولة واليسر .

وأخراهما: بالنص الشرعي في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة الأنعام /١٥٣] ؛ فوصَفَه بالاستقامة ؛ فكان هذا هو مفهوم الصراط شرعاً .

وأما إيصاله إلى المقصود فلا يُفهم من جملة الصراط المستقيم لغة؛ لأن الصراط يكون مستقيماً ، ويقصر عن المقصود ؛ فقول ابن القيم رحمه الله : « واستقامته تتضمن إيصاله » محلُّ نظرٍ ، وإنما فُهِمَتْ الدلالة على الإيصال إلى المقصود من قوله تعالى :

(١٠) مدارج السالكين ١/١٦-١٧ .

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وصفاً للصراط المستقيم ، وقد بيَّنتُ أنَّ هذه النعمة هي النعمة الخاصة بالمؤمنين من ألطاف صفة الرحيم بهداية التوفيق والإعانة .. وكل من حصلتْ له نعمة الله الخاصة فقد بلغ المقصود ؛ فسلوك طريق بالغي المقصود موصِّل إلى المقصود .. وأما سعة صراط الله فمفهومة من أمرين متلازمين :

أولهما : أنَّه واحد بدليل (أل) للمعهود في قوله تعالى : ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، وبدليل الإفراد ، وبدليل الإضافة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ .

وثانيهما: عموم المكلفين من الثقلين (الجن ، والإنس) ؛ فكل واحد منهم مأمور بسلوك هذا الصراط .. هذا بالنسبة لصراط الله في الدنيا ، أما صراط الآخرة فهو أَحَدُّ من السيف يسلكه المكلفون واحداً واحداً كما جاء بذلك الخبر الشرعي ، وأما تعيُّنه فكما قال ابن قيم الجوزية : « أي بوصفه مخالفاً لصراط أهل الغضب والضلال » .. ويُضاف إلى ذلك تعيُّنه بـ(أل) وبالإضافة والإفراد ، وتعيُّنه في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام كما في قوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [سورة النحل/ ١٢٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ [سورة يوسف/ ١٠٨] .

٩ـ ولقد أجمع المفسرون والسلف الصالح على أنَّ المغضوب عليهم اليهود، وأنَّ الضالين النصارى حتى قال ابن أبي حاتم في تفسيره : « لا أعلم بين المفسرين خلافاً في هذا »(١١) .

---

(١١) قال الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) في تفسيره ـ بتحقيق أسعد محمد الطيب / نشر مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة ، والرياض / طبعتهم الأولى عام ١٤١٧هـ ١/٣١ ـ : « حدثنا علان بن المغيرة المصري : ثنا أحمد بن حنبل : ثنا محمد بن جعفر غندر : ثنا شعبة قال : سمعت سماك بن حرب يقول : سمعت عباد بن حبيش يحدث : عن عدي بن حاتم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **المغضوب عليهم اليهود ، ولا الضالين النصارى** » .. قال أبوسعيد : ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً .. حدثنا محمد بن عمار بن الحارث : ثنا عبدالرحمن ابن عبدالله بن سعد الدشتكي : أنبأ عمرو بن أبي قيس : عن سماك ابن حرب : عن عباد بن حبيش : عن عدي بن حاتم قال : أتيتُ رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد؛ فقال : « **إن اليهود مغضوب**

.....

عليهم ، والنصارى ضُلاَّل » .. حدثنا علي بن الحسين : ثنا محمد بن العلاء أبوكريب : ثنا عثمان بن سعيد : ثنا بشر بن عمارة : ثنا أبوروق : عن الضحاك : عن عبدالله بن عباس [رضي الله عنهما] : وغير طريق الظالين [قال **أبوعبدالرحمن** : من المؤكَّد أنَّ الصواب « الضالين »] ، وهم النصارى الذين أضلهم الله بِعِزَّتِهم عليه.. يقول : فألْهِمْنَا دينك الحق وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ حتى لا تغضبَ علينا كما غضِبتَ على اليهود ، ولا تضلنا كما أضللت النصارى ؛ فتعذبنا كما تُعذبهم .. يقول : امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورقتك وقدرتك .. قال أبومحمد : ولا أعلم في هذا الحرف اختلافاً بين المفسرين » .

قال **أبوعبدالرحمن** : وصف الرقة لا يجوز إضافته إلى الله ؛ لأنه لم يردْ به توقيف ؛ فإن جعلتَ الإضافةَ إضافةَ ملكية وخَلْق لا إضافة وصف جاز .. أي أنَّ رقتك مفعول من فعلك وخلقك .. إلا أنَّه سياق لا يناسب هذا المعنى .. قال **أبوعبدالرحمن** : ولقد خرَّج الدكتور الشيخ سعد آل حُمَيِّد الحديث في تحشيته على سنن سعيد

قال **أبوعبدالرحمن** : وصحَّ بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ في حديثي عدي بن حاتم وابن شقيق وغيرهما ؛ ولهذا ورد النص في سورة الفاتحة بالوصف وهو الغضب والضلال ولم يرد النص باسمهما (وهو اليهود ، والنصارى) ، والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أنَّ المراد عموم الوصف لا خصوص المسمَّى وهو الموصوف ؛ فيدخل في المغضوب عليهم اليهود وكل من اتصف بفعلهم من تعمُّد مخالفة الحق بعد معرفته ، وكل من اتصف بفعل النصارى مِن تركِ العلم ثم التعبُّدِ لله بجهل وضلال .. قال ابن قيم

ابن منصور (٢٢٧هـ) (٢/٥٣٧-٥٤٢) من طريق عدي بن حاتم، وأبي ذر ، وعبدالله بن شقيق ﷺ عنهم ، واكتفى بقوله : معنى الحديث صحيح .

قال **أبوعبدالرحمن** : حديث ابن شقيق هو حديث أبي ذر ﷺ ، ورجاله رجال الصحيح ، ولا يضر إغفال اسم الراوي إذا كان الثقة ممن أدرك الصحابة رضوان الله عليهم ، ولقد بان بإسنادٍ حسنٍ أنه رواه عن أبي ذر ﷺ ، وهو صحيح المعنى ؛ فهو صحيح لغيره ، راجح الثبوت عن رسول الله ﷺ .

الجوزية : «والضالُّ مغضوب عليه ؛ لضلاله عن العلم الموجب للعمل »[١٢] .. وكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحقُّ به ؛ ومن ههنا كان اليهود أحقَّ به وهو متغلظ في حقهم .

ولو لم يَرِدْ النص الصحيح من حديث عدي بن حاتم وغيره : أنَّ المغضوب عليهم هم اليهود ، والضالين هم النصارى : لوجب تفسيرها بذلك ؛ بجعل (أل) في المغضوب عليهم والضالين لمعهود شرعي مع إبقاء الصفتين على عمومهما ؛ لأنه وُجد تفسير القرآن بالقرآن ، وهذا هو المقتضي .. ولم يُوجد ما يمنع ، وهذا هو ارتفاع المانع .. وهذا المعهود نجده في وصف اليهود بأنه مغضوب عليهم في قوله تعالى : ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [سورة البقرة/ ٩٠]، وقال : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة/ ٦٠]، وكل هذا في سياق الكلام على اليهود ..

---

(١٢) مدارج السالكين ١/١٧ .

وقال تعالى في وصف النصارى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة/ ٧٧] ؛ فهذا سياق الكلام على النصارى .. فإن قال قائل : إنَّ هذه الآيات مدنيات ، وسورة الفاتحة مكية نزلت قبل ذلك ؛ فكيف نجعل ما في السابق معهوداً لِلاَّحق ، والمعلوم بالضرورة أنَّ المعهود هو ما سبق وجوده وليس ما سيلحق وجوده ؟ .. **فالجواب** : أنَّ الآيات التي نزلت بالمدينة جاءت بياناً لسورة الفاتحة السابق نزولها بمكة ؛ فلما وُجد البيان أصبح معهوداً شرعياً في تفسير كلام الله لا في التاريخ لنزوله ، وقد كَمُلَ الدين بنزول جميع القرآن ؛ فكان كمال الاستنباط مرهوناً بتمام النزول ، وصار القرآن كله معهوداً شرعياً للمفسر ، فيفسِّر القرآن بالقرآن ما أمكن بغضِّ النظر عن تاريخ النزول ما دام تاريخ النزول لا يُحيل التفسير ، ولا ينسخه .. وهذا خبرٌ لا نسخ فيه .. وإنما يستحيل تفسير السابق نزوله باللاَّحق نزوله في صور : كأن يكون اللاحق ناسخاً للسابق؛ فهاهنا يكون لدينا حكمان مؤقتان وليس حكماً واحداً .. فإن قال

قائل : إنني تطرَّقتُ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ [سورة الحجر/ ٨٧](١٣) ؛ فجعلته دليلاً على أنَّ المثاني هي سورة الفاتحة ؛ لأن الفاتحة مكيَّة والحِجْر مكيَّة ، وأبيتُ أن تكون المثاني السور السبع الطوال لأنهنَّ مدنيات ، وهذا خلاف ما انتهجته هاهنا من عدم مراعاة تاريخ النزول ؟ .. **فجوابي** : أنني لم أُحِلْ تفسير المثاني الواردة في سورةٍ مكية على سور ستنزل في المدينة ؛ فهذا أمرٌ ممكن .. إلا أنَّ الممكن لا يُلتفت إليه إذا وجد المتعيِّن ، وقد وُجد عندنا من قوله تعالى : ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ﴾ بصيغة الماضي ، ومن تفسير الرسول ﷺ للمثاني بالفاتحة : ما تعيَّن به أن المعهود الشرعي في ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ﴾ على ظاهره، وهو أن الفاتحة مما سبق نزوله وليست مما سينزل .

١٠- ونعمة الله في قوله تعالى : ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ تشمل أربع نِعَم :

أولها: الإنعام العام بتبيان الحق بواسطة الكتب والرسل .

(١٣) وذلك في تفسيري المذاع .

وثانيها: الإنعام الخاص بالتوفيق والإعانة على سلوك الصراط المستقيم .

وثالثها: الإنعام الخاص بعصمتهم عن الزيغ بعناد أو ضلال .

ورابعها: الإنعام الخاص بدخولهم الجنة.. فإن قال قائل : كيف فسَّرتَ الإنعام بهذه النعم الأربع مع أن الله نصَّ على أنه أنعم عليهم فقال : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يبيِّن لنا نوع النعمة ؛ فيقول: أنعمتُ عليهم بكذا وكذا ؟ .. **فالجواب**: أن هذا الاستنباط ثابت بالسياق ، واللزوم ، والمعهود الشرعي .. أما الاستنباط فهو أنَّ الله حصر الناس تجاه سلوك الصراط المستقيم في ثلاث فرق : المُنعَم عليهم أهل الصراط المستقيم، والمغضوب عليهم؛ لعنادهم .. والضالون ؛ لجهلهم؛ فهم أصحاب سبل لا صراط مستقيم .. وقد اختار الله لنا الصراط الأول بطلب الهداية إليه ، وكره لنا الآخرين بطلب العصمة منهما ؛ لأن طلب الهداية والإعانة على الحق يحقق طلب العصمة من الضد والنقيض ؛ فتعيَّن أن نعرف نوع النعمة من ضد واقع حالهم ، وهو العناد والجهل من صيغتي الغضب والضلال .. وأما المعهود

الشرعي فهو حكم الله في النصوص الأخرى بكفر اليهود والنصارى، وأنه لن يقبل منهم غير دين الإسلام ؛ فعلمنا أنَّ نعمة المنعم عليهم هي فوزهم بالإسلام سلوكاً وتصوراً .. وورد في مثل قوله : ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [سورة الأعراف/ ١٤٦] فمثل هذا محمول على المقابلة مثل ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ و﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ..﴾ إلخ .. وأما اللزوم فمن ناحية أن هداية البيان والإيضاح بتبيان الصراط كانت بإنزال الكتب وإرسال الرسل ؛ فذلك نعمة .. كما أن إعانتهم على سلوكه نعمة من الله ، وأن عصمتهم من العناد والضلال نعمة من الله، وضَمِن الله ـ ووعده الحق ـ الجنة لمن هذه صفته .. والجنة من أجَلِّ نِعَمِ الله ، ولا قيمة لنعمةٍ تعقبها النار؛ فتحقَّق بذلك الإنعامُ بأربع نِعَم هي : البيان ، والتوفيق بالإعانة على ما هو مطلوب فعله، والإعانة على ترك ما هو مطلوب تركه ، ودخول الجنة .. وكل ما يسمى لغة نعمةً من أحوال المهتدين فهو داخل في قوله تعالى : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ فكل معهودات اللغة ـ إذا لم يُوجد ما يمنع منها ـ داخلة في المعهود الشرعي ، ونعمة الله عامة للمؤمن والكافر ، وهذا

معروف بضرورة الشرع وضرورة الحس ، وهذه البدهيَّة أستَدِلُّ عليها استنباطاً بقوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾؛ فكلمة (غير) استثناء لصراطهما وليست استثناء للنعمة العامة ، وإنما استلزم استثناءُ الصراط استثناءَ النعمة؛ فالمغضوب عليهم والضالون ممن أنعم الله عليهم نعمه العامة العديدة الوفيرة ؛ فلما استعملوها في غضب الله حُرموا النعمة الخاصة ، وتميَّزَ بها المهتدون ، وكاد السياق ينفي عنهم النعمة مطلقاً ؛ لأن العبرة بالنعمة الخاصة .. وقد قلت : لا قيمة لنعمة عاقبتها النار .

وسورة الفاتحة قرَّرت واقع الناس في ثلاث فئات : مهتدين ، ومغضوب عليهم ، وضالين .. وأُمرنا بالدعاء أن نكون من المهتدين ؛ فهذا هو بيان واقع الحال ؛ فإذا أردنا حكم هذا الواقع التمسناه من النصوص الشرعية الأخرى ؛ فالمهتدي من أهل الفلاح والأمن ؛ لقوله تعالى عن المهتدين : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف / ٨] ، وقوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾ [سورة الأنعام/ ٨٢] .. والضال والمغضوب عليه من أهل النار ؛ لأن ضلاله جريمة ، والغضب عليه لِجرْمِهِ ، وقد قال تعالى عن

المجرمين : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [سورة القمر/ ٤٧] ؛ ولأن متبع هدى الله لا يشقى ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [سورة طه /١٢٣] .. وهؤلاء لم يتبعوا هدى الله ؛ فشَقُوا .. وقد تركوا هدى الله ونسُوه ؛ فمعيشتهم ضنك ، ويُحشرون يوم القيامة عُمياً .. وأسلفتُ أنَّ الله عَيَّن صراطهم : بالإفراد ، والإضافة ، و(أل) .. وأزيدكم الآن بياناً : أنَّ هذا هو أسلوب القرآن الكريم في بيان صراط الله وسبيله ، أما غير سبيله فيأتي بطريق الجمع .. قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام/ ١٥٣] .. هكذا ورد في حديث ابن مسعود ﷺ[١٤] ، وإنما جاء

(١٤) قال الحافظ أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير [٧٠٠-٧٧٤هـ] في تفسيره بتحقيق سامي بن محمد السلامة . دار طيبة بالرياض/ طبعتهم الأولى عام ١٤٢٠هـ /٣٦٥-٣٦٧ : « قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر (شاذان) : حدثنا أبوبكر ـ وهو ابن عيَّاش ـ : عن عاصم (وهو ابن أبي النجـود) : عن أبي وائل : عن

.....

عبدالله ـ هو ابن مسعود ﷺ ـ قال : خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا بيده ، ثم قال : « **هذا سبيل الله مستقيماً** » .. وخطَّ على يمينه وشماله ، ثم قال : « **هذه السُّبُل ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه** .. ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [سورة الأنعام/١٥٣] ، وكذا رواه الحاكم : عن الأصم : عن أحمد بن عبدالجبار : عن أبي بكر بن عيَّاش : به .. وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .. وهكذا رواه أبوجعفر الرازي ، وورقاء ، وعمرو بن أبي قيس : عن عاصم : عن أبي وائل شقيق بن سلمة : عن ابن مسعود به مرفوعاً نحوه .. وكذا رواه يزيد بن هارون ، ومُسدَّد ، والنسائي : عن يحيى بن حبيب بن عربي ، ـ وابن حبان : من حديث ابن وهب ـ .. أربعتهم : عن حماد بن زيد : عن عاصم : عن أبي وائل : عن ابن مسعود : به .. وكذا رواه ابن جرير : عن المثنى : عن الحِمَّاني : عن حماد بن زيد: به .. ورواه الحاكم : عن أبي بكر بن إسحاق : عن إسماعيل بن إسحاق القاضي : عن سليمان بن حـرب : عن حماد بن زيد .. به

.....

كذلك ، وقال : صحيح ، ولم يخرجاه .. وقد روى هذا الحديث النسائي ، والحاكم : من حديث أحمد بن عبدالله بن يونس : عن أبي بكر بن عيَّاش : عن زرٍّ : عن عبدالله بن مسعود .. به مرفوعاً .. وكذا رواه الحافظ أبوبكر ابن مردويه من حديث يحيى الحماني : عن أبي بكر بن عياش : عن عاصم : عن زرٍّ: به .. فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ، ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود : عن زرٍّ ، وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما : عن ابن مسعود : به ، والله أعلم .. قال الحاكم : وشاهد هذا الحديث حديث الشَّعبي : عن جابر من وجه غير معتمدٍ .. يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وعبد بن حميد جميعاً .. قالا ـ واللفظ لأحمد ـ : حدثنا عبدالله بن محمد (وهو أبوبكر بن أبي شيبة) : أنبأنا أبوخالد الأحمر : عن مجالد : عن الشعبي : عن جابر ﷺ قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ ؛ فخطَّ خطًّا هكذا أمامه ؛ فقال : « **هذه سبيل الله** » .. وخطين عن يمينه وخطين عن شماله ، وقال : « **هذه سُبُل الشيطان**» .. ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية :

غير سبيل الله مفرداً مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القصص /٥٥] محمولاً على أحد أمرين : إما أن يكون المعنى لتستبين سبيل كل مجرم .. وهذا جائز في لغة العرب ، وإما محمولاً على أنَّ المخاطبين معينون

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام/ ١٥٣] .. ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه ، والبزار : عن أبي سعيد ابن عبدالله بن سعيد : عن أبي خالد الأحمر : به .. ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين : عن أبي سعيد الكندي : حدثنا أبوخالد : عن مجالد : عن الشعبي : عن جابر [ﷺ] قال : خطَّ رسول الله ﷺ خطاً، وخطَّ عن يمينه خطاً، وخطَّ عن يساره خطاً ، ووضع يده على الخط الأوسط ، وتلا هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ .. ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثراً .. رُويَ موقوفاً عليه .

قال **أبوعبدالرحمن** : وللزيادة انظر تحقيق مُخَرِّجَيْ تفسير النسائي ١/ ٤٨٥-٤٨٧، وتحقيق جامعي مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير ١٣٨/٢ .

سيسلكون سبيلاً واحداً من سبل كثيرة ، وهو سبيل ضُلاَّل اتحدَّت عليه أهدافُهم .. وسرُّ إفراد سبيل الله وصراطه، وكون ما خالفها سُبُلاً كثيرة من جهتين :

أولاهما : تقرير الواقع ؛ فسبيل الله واحد متميز ، وسُبُل غيره سُبُلٌ كثيرة متعددة بتعدُّدِ المذاهب والنِّحَل .

وأخراهما : أنَّ سبيل الله واحد؛ لأن الحق والخير والجمال متعيِّنٌ فيه بالقطع واليقين ؛ لأنه سبيل خالق الخير والجمال والحق .. أما سُبُل غيره فمتعدِّدةٌ ؛ لأنها تخرُّبات وأهواء وجهالات وعناد ؛ فلا يُوحدها حقٌّ مطلق ، ولا جمال مطلق ، ولا خير مطلق .. وثمة جهة ثالثة ذكرها ابن قيم الجوزية بقوله : « لأن الطريق الموصِّل إلى الله واحد »[١٥] .

قال **أبوعبدالرحمن** : معنى هذا اتحاد السبيل باتحاد المراد ؛ فمن أراد أن يمتثل ما أراده الله منه فليس له إلا سبيل واحد هو سبيل الله

(١٥) مدارج السالكين ٢١/١ .

(أي دينه) ، ومن رغب عن مراد الله : فقد يريد الهوى ، وقد يريد العناد ، وقد يريد الجاه والمنصب ؛ فتتعدد السُّبل الضَّالة بتعدد المرادات .. وكل مفهوم لغوي للنعمة فهو داخل في مدلول النعمة التي أنعم الله بها على المضمرين في قوله تعالى : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ما لم يمنع من ذلك مانعٌ شرعي .. وها هنا أُبيِّن أنَّ المنعَم عليهم هم المهتدون ؛ لأن الصراط المستقيم أُضيف إليهم ، وهي إضافة تعني الاهتداء والامتثال .. وأما المعهود الشرعي فهو ما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء /٦٩] ؛ فالذين أنعم الله عليهم في سورة الفاتحة مُتَّبِعون للصراط المستقيم ، والذين أنعم الله عليهم في سورة النساء هم المطيعون لله ؛ فالاتباع في سورة الفاتحة هو الطاعة في سورة النساء ، وكلهم متحدون في صفة الإنعام ؛ فصحَّ أنَّ المُنعَم عليهم هم النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون ورفيقهم من المطيعين.. ويدلُّك على صحة تفسير سورة الفاتحة بسورة النساء : أن الله قال

عن المخالفين : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [سورة النساء / ٦٦] ، ثم قال : ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [سورة النساء /٦٨] ، ثم بيَّن نقيضهم وهم المطيعون ؛ فعلمنا أنَّ المنعَم عليهم في سورة النساء هم أهل الصراط المستقيم الوارد في سورتي الفاتحة والنساء ، وصراط الذين أنعم الله عليهم تضمَّن تأنيس المسلم وتشجيعه بالتمسُّك بالحق وإن قلَّ موافقوه وكثُر مخالفوه .. ووجه الدلالة أنَّ الله أمرنا بطلب الهداية للصراط المستقيم ، والصراط المستقيم معروف لدينا بمعهود شرعي ، وأنه صراط الله .. ولكن الله زادنا بياناً بوصف هذا الصراط الذي أمرنا باتباعه ؛ فقال : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، ولم يقلْ الصراط المستقيم صراط الله .. وهذه الإضافة في الوصف ، والزيادة في البيان لابد أن تتضمن زيادة معنى ؛ لأن القرآن بلغة العرب ، والعرب تزيد المبنى لزيادة المعنى .. ولأن من إعجاز القرآن الإيجاز وجوامع الكلم ؛ فلابد أن يكون في إطنابه سرٌّ ؛ فوجدنا إضافة الصراط لهم لأنهم متبعوه ، ووجدنا اختيارَ وصف الصراطِ

بإضافته إلى متبعيه الموصوفين بإنعام الله عليهم يتضمن التشويق إلى سلوك صراط الله ؛ ليكون السالك من المنعم عليهم .. وكل عاقل يستزيد الله من نعمه - ولا سيما النعمة الخاصة - ، ووجدنا في واقع الحال أن مَنْ همُّه مرافقة المنعَم عليهم بسلوك سبيلهم : لا يعبأ بقِلَّة الموافق ، وكثرة المخالِف .. ثم وجدنا بمنطوق الشرع : أنَّ هذه المرافقة منصوص على التشويق عليها نصَّاً بقوله : ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء/٦٩] ، ثم وجدنا الإرهاب الفكري منذ عهد الجاهلية الأولى إلى عهد الجاهلية الراهنة في فلسفات الغرب وقيمه : تصدُّ المهتدين ، وتسخر منهم ، وتُسفِّه أحلامهم ، وتصفهم بالرجعية ، وما أشبه ذلك من ألفاظ جديدة لمعانٍ قديمة ؛ فالمسلم يستعلي على غَبْن الصادِّين وتسفيههم بالاستشراف إلى منازل أهل الرفيق الأعلى من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين .. وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: « ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه ، مُريداً لسلوكِ طريقٍ مُرافِقُه فيها غاية العزة

- والنفوس مجبولة على وحشة التفرُّق ، وعلى الأُنس بالرفيق في هذه الطريق - ، وأنهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً ؛ فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له ، وهم الذين أنعم الله عليهم : فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له ؛ فإنهم الأقلُّون قدراً وإن كانوا الأكثرين عدداً »[١٦] .. ثم قال رحمه الله عن هذا الابتهال في سورة الحمد من طلب الهداية إلى صراط المنعم عليهم : « وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت : اللهم اهدني فيمن هديت .. أي أدخلني في هذه الزمرة ، واجعلني رفيقاً لهم ومعهم »[١٧] .

قال **أبوعبدالرحمن** : والمسلم يدعو ربَّه بطلب الهداية والتوفيق تارة ، وتارة يطلبه هداية ممثَّلة بهداية غيره .. وكلا هذين المطلبين وردا في السورة ؛ فأُمرنا بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، ثم

(١٦) مدارج السالكين ١/٢٩ .

(١٧) مدارج السالكين ١/٣٠ .

أُمرنا بطلب أن تكون هذه الهداية كهداية من أنعم الله عليهم .. وفي هذين الطلبين نفائس وجواهر من كنوز العلم ؛ فمن ذلك أننا نطلب الحق الصحيح ونطلب الهداية إليه ؛ فنحظى إن شاء الله بأن نكون في أكثر سلوكنا ممن يُؤجر أجرين ؛ لصوابه ، وخلوصه .. ثم نطلب هداية كهداية المنعَم عليهم أهل الرفيق الأعلى ؛ فنضمن طلب حسن الخاتمة ؛ لأن المنعَم عليهم مختوم لهم بخير ، ونمتثل نوعاً من الدعاء جليلاً وهو التوسل إلى الله بنعمه وإحسانه ؛ فكما هَديتَ المنعَم عليهم نعمة منك وتفضُّلاً فتفضَّل علينا يا ربنا بما تفضَّلت به عليهم .. ثم إن في طلبنا هداية كهداية المنعم عليهم ضماناً لطلب تتميم المسيرة بالرحمة ؛ لأن الله لم يُدخل المنعَم عليهم الجنة بأعمالهم، بل برحمته .. هداهم أولاً ، وضاعف أجرهم ثانياً ، وضاعف نعيمهم أضعاف أجرهم ؛ فكل معاملته لهم رحمة .. والتوسل إلى الله بالعمل فقط عمل المغرورين ، والتوسل إلى الله برحمته فقط عمل المغترِّين ، والتوسل إلى الله بالرحمة بعد أداء العمل والاعتراف بالتقصير هو ابتهال المحسنين .. ولا يدخل في الصنفين

الأوَّلين قصة أصحاب الغار ؛ لأنهم في أحوج ما يكونون إلى الرحمة .. ثم إن التوسُّل إلى الله بالرحمة اعترافٌ بكرمِ الله ؛ لأنك لا تقول لبخيل : أكرمني كما أكرمت غيري ؛ لأنه لم يُكرم أحداً.. وإنما تقول له : بالله اغلط هذه المرة فأكرمني!!.. أما الكريم فتستدرُّ كرمه بتعداد مكارمه ، ولله المَثَلُ الأعلى من كل شيء ؛ فإذا قلت : أَنعِمْ عليَّ يا ربِّ كما أنعمتَ على أوليائك فهذا اعترافٌ بكرم الله .. وسورة الفاتحة من أولها إلى آخرها تعليم للخلق كيفية الدعاء ، وهي أنَّ مَنْ أراد من ربِّه قضاء حاجة : قدَّم لمسألته بحمد الله وبتمجيده ، وإعلان عبوديته له ، وتوحيده له ، واستعانته به كما في سورة الفاتحة تماماً تماماً .

(١) قال **أبوعبدالرحمن** : توحيد الله الذي دعت إليه جميع الرسل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما :

أولهما : توحيد علمي اعتقادي يتعلق بعلمنا بالله كما هو في الواقع .. **وثانيهما** : توحيد عملي وقولي ينبثق عن العلم الأول ، ويُخْلِصُ العمل المقصود للرب الواحد المعبود بحق .. والعلم

الاعتقادي أن يعلم الإنسان بالفطرة والاستدلال والخبر الشرعي ما يجب لله من صفات الكمال والجلال ، وما يتنزَّه عنه من صفات النقص جلَّ جلاله؛ فيعلم العبد افتقار كل شيئ سوى الله إلى الله ، وأنه خالق كل شيئ سواه ومدبِّرُه والمهيمن عليه .. وفي هذين العلمين تدخل أنواع التوحيد الاعتقادية والعملية الثلاثة ، وهي ربوبية الله ، وكماله الذي يُعبَّر عنه بتوحيد الأسماء والصفات ، وتألُّهنا له وحده الذي يُعبَّر عنه بتوحيد الألوهية(١٨) ؛ لأنه سبحانه

(١٨) قال **أبوعبدالرحمن** : اتصل بي بعض الشباب هاتفياً منذ سنوات مستنكراً التعبير بالألوهية ، مبدياً أنَّ الصحيح الإلهية .. كأنه ظن أن الألوهية تعني آلهة كثيرة !! .. والواقع أن الإلهية جائزة نسبة إلى الإله سبحانه ، والألوهية من التألُّه لله سبحانه .. قال شيخنا أحمد يوسف القادري : « إن الآلهة جمع إله كما ورد في كتاب الله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء/ ٢٢] ، والآلهة الأصنام التي عُبدت من دون الله عز وجل ، وقالوا : إله بَيِّن الآلهة والأُلهانية .. وقال ابن سيده : الإلاهة والألوهة والألوهية العبادة والتألُّه التعبُّد .. وأطلب من المعترض أن يأتي بنصٍّ عربيٍّ قديمٍ فيه

الإله الواحد حقيقة .. وكل اسم دالٌّ على كمال الله فهو دالٌّ على ربوبيته وألوهيته ، وكل اسم دالٌّ على ألوهيته فهو دالٌّ على ربوبيته وكماله .. وهذا التلازم بين أنواع التوحيد هو الذي يتميَّز به أهل السنة والجماعة بين أهل الملل والنِّحَل ؛ فمن عطَّل أسماء الله وصفاته أو شبَّهها أو كيَّفها أو حدَّدها بمقدار (من أهل النِّحَل) فقد جعل إله معدوماً وألغى شيئاً من توحيد الربوبية

نسب إلى الإله .. والألوهية والربوبية والرجولية والعبودية مصادر سماعية على غير قياس . أما الربُّ فقد ورد النسب إليه على غير قياس فقالوا : رَبُّوبِي وله الربوبية على جميع الخلق .. وقد ورد في القرآن رباني قال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [سورة المائدة/٦٣] .. قال سيبويه : منسوبٌ إلى الرب، وزادوا الألف والنون للمبالغة وتخصيصه بعلم الرب دون غيره ، وقالوا : رباني كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني » .

قال **أبوعبدالرحمن** : من الدارج على الألسنة : عمل فلان إلهي .. أي لله وحده سبحانه .. والنسب إلى « إله » صحيح لغةً ، وإنما المطلوب : أن يكون ذا وجهٍ شرعي ، وأن يكون معقول المعنى .

والألوهية كمن عطَّل مدلول السمع أو شبَّهه ، فكيف يكون رباً من لا يتصف بسمع مخلوقاته ؟ .. وكيف يكون إلهً من لا يسمع عبادةَ خلقِهِ ؟ .. ومن جحد حق الله في الألوهية من أهل الملل فقد جحد ربوبية الله ؛ لأن الألوهية من حقوق الربوبية .. كما أنه جاحدٌ لكمال الله ؛ لأنَّ التألُّه لله حقٌّ لمقتضى كماله .. أما من جحد ربوبية الله فلا معنى لإيمانه بالألوهية والكمال .. ولكي أشرح معنى التلازم أذكر مثالاً بصفة القيُّوم جلَّ جلاله ؛ فالقيُّوم من صفات الكمال ، وهي من معاني الربوبية ؛ لأن كل الخلق في قيُّوميته في كل لحظة وفي كل طرفة عين ؛ لأنه قيُّوم عليهم بقدرته وعلمه وحكمته وهيمنته ورحمته وتدبيره .. وهي مستلزمة لكل صفات الكمال من العلم والقـدرة والسمع والبصر ، وهي مستلزمة لألوهية الله ؛ لأن الأحق بالعبادة من كان قيوماً وهو الله جلَّ جلاله .. وهذا التوحيد الاعتقادي العلمي ، وما لزم عنه من توحيد الألوهيـة العملي : دلَّت عليه سورة الفاتحة من ناحية الإجمال ، وهو حصر الحمد لله .. ولا يُحصر الحمد إلا لمن كان

ربَّاً وحده ، إلهً وحده ، له الكمال وحده ؛ وبهذا يكون الحمد توحيداً إذا صُرف لله ، ويكون شركاً إذا صُرف لغير الله فيما لا يُحمد فيه إلا الله ، وهذا حينما يرد الحمد بصيغة الحصر للمخلوق.. ويكون عادياً إذا صُرف لمخلوق في شيء يقدر عليه، وهذا لا يكون بصيغة الحصر ، ويكون متعلقاً بفعل معيَّن من قدرة العبد التي منحه الله إياها كقولك : حمدتُ لزيدٍ بلاءَه في الحرب.. ولو قيل : « الحمدُ لزيدٍ في الحرب » لكان شركاً ؛ لأنك أطلقت له الحمد في خصوص الفعل ، ودلَّت سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الاعتقادي ، وما لزم عنه من توحيدٍ عملي بالتفصيل من قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ ﴾ ؛ فهذه مجامع صفات الله وأسمائه ؛ فلفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الذي تكون كل صفة من صفات الله معنى من معانيه ، والربُّ جامعٌ كلَّ صفات الربوبية التي تقوم بها مخلوقات الله ، والمُلكُ جامعٌ لمعاني القهر والهيمنة والعلم والسمع والبصر مع اسم القيُّوم والحي ، و كل هذه دالة على معاني

الربوبية والألوهية والكمال .. ثم ذكر الرحمن الرحيم استئناساً للنفوس في أداء حق الألوهية ـ وهو العبادة ـ ؛ لأنه إذا وجب علينا أن نعبد الله (من ناحية ملاحظة معاني الغلبة كالقهر والهيمنة) فمن باب أولى أن نعبده من ناحية ملاحظة معاني اللطف (وهي الرحمة العامة) في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ ؛ لأنها يصدر عنها فعل الرحمة .. وهي أيضاً الرحمة الخاصة بالعابدين الذين هداهم بعد هداية الإيضاح هداية التوفيق والتسديد والإعانة ، وذلك في قوله : ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ؛ وبهذا يتبيَّن سرُّ التنصيص على الألوهية والربوبية والملك والرحمة بعد الحمد المطلق .. ومَن تتبَّع أسماء الله وصفاته من الكتاب والسنة ، واستكشف تلازمها ودخولها في عموم أمهات الأسماء والصفات التي يتردَّد ذكرها في النصوص : فإنه يُحصِّل نفائس من الفقه في الدين .. ولعلَّ هذا من أسرار الحضِّ على إحصاء الأسماء الحسنى بنص الحديث الشريف الصحيح ؛ ولهذا حرص العلماء على تتبعها كأبي نعيم وابن حزم ، بل أفردها بعضهم بالتأليف والشرح كالقرطبي والغزالي والزجَّاج

والزجاجي.. بل إنَّ توفيق ابن تيمية في أمور العقيدة ، وسموق فكره في هذا المجال : كان بفضل الله ثم بتتبع أسماء الله وصفاته ، واستخلاص جوامعها ، واستحضار التلازم بينها ؛ ولهذا تراه يحشد النصوص حشد التلميذ الأمين المستسلم لدين الله ، ثم ينبجس ذهنه بعظمة فكرية في ملاحقة الشُّبه وحجزها بأقماع السمسم[١٩].. والتوحيد العلمي لا قيمة له إذا كان مجرد يقين في العقل كإيمان بعض الفلاسفة والمتكلمين ، بل لابد أن يكون عقيدة في القلب وراحة في النفس .. فإن قال قائل : من أين أتيتَ بهذا الاشتراط ؟ .. **فالجواب** : أنني أتيت به من قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ومن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ؛ فإذا آمن عقلي صدقاً بكل ذلك

(١٩) الأقماع جمع قِمْع بكسر القاف وسكون الميم ما التزق بأسفل التمر والعنب ونحوهما ، والمراد هنا تحقير صاحب الذهن الحقير فيُحجز بقمع السمسمة لصغره وصغر القمع ! . [مصحح الكتاب شيخنا أحمد القادري] .

فلابد أن أحب ربي في قلبي ، وأرضى عنه في كل ما أمضاه عليَّ من قضائه .. وبيني وبين من أنكر هذا دلالة اللغة العربية التي نزلت بها سورة الفاتحة ؛ فمن لم يحب ربَّه ولم يرضَ عنه : فلم يحمده ، ولم يعترف بأنه ربيب نعمة ربه ، ولم يعترف بأن الله الرحمن الرحيم .. إن من يعتقد أن الحمد لله فمقتضى حاله يقول : لا نحصي ثناء عليك .. ومن أَفْعَم قلبَه العجزُ عن إحصاء الثناء فمعنى ذلك أنه مُفْعَم القلب بحب الله والخضوع له والرضى عنه؛ إذ لا حبَّ ولا خضوعَ ولا رضى مع إنكار الحمد والثناء.. والإيمان العلمي لا ينفع إلا بشيء من فعل الخير ولو دون ذرة لمن لم يمت بعد إيمانه مباشرة، وزاد ما دون الذرة على سيئاته، والمؤمن غير العامل مُحَدَّدٌ انتفاعه بأنه لا يخلد في النار .. ولكن كم هي الحقب التي سيُعذَب فيها ؟ .. لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه .

١٢- وإطلاق الحمد لله دلالة على إطلاق الكمال لله .. قال ابن قيم الجوزية : « وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل ، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها ؛

ولهذا كان الحمد كله لله »(٢٠) .

١٣- قال **أبوعبدالرحمن** : وكل عمل لا يقبله الله إلا بشرطين : **أولهما** أن يكون خالصاً لله ، **وثانيهما** أن يكون صواباً وفق مراد الله ؛ ولهذا جاء في دعاء عمر بن الخطاب ﷺ : اللهم اجعل عملي صواباً كله ، ولا تجعل فيه شركاً لأحد .. وقد دلَّ على هذين الشرطين سورة الفاتحة ، فالحصر في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ دلَّ على خلوص العمل لله ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم دلَّ على صواب العمل .. وعطف صواب العمل على خلوصه من عطف العام على الخاص؛ لأن الخلوص من شرط الصواب ، ولكن مُيِّز الإخلاص ؛ لأنه الشرط الأوليُّ بالنية ؛ فالقلب ينوي المقصود بالعمل وهو الله .. فهذا هو الإخلاص ، وينوي العمل المقصود نفسَه .. وذلك عموم الصواب إذا طبَّق نيته وَفْقَ أمر الله الشرعي .

(٢٠) مدارج السالكين ١/٣٣ .

وسورة الفاتحة دالَّة على إيجاب العلم بالله وبشرعه ؛ لأنها ذامَّة للضالين .. وهي دالَّة على إيجاب حسن القصد ؛ لأنها ذامة للمغضوب عليهم .

١٤ـ وفي سورة الفاتحة إيماءٌ إلى تحريم الرياء بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وفيها إيماءٌ إلى تحريم الكبر بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالمرائي عابدٌ لغير الله ، والمستكبر مستكبرٌ عن عبادة الله وعن الاستعانة به ، قال ابن قيم الجوزية : « كثيراً ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحَه يقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياءَ ، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء »(٢١) .. وقالت الجبرية : إنَّ العبد مجبور على فعله من طاعة ومعصية ؛ فلا يليق بالله ـ جلَّ جلاله تعالى عما يقولون ـ ؛ فأكذب الله ظنونهم ، وخيَّبَ سعيهم بسورة الفاتحة؛ فبيَّن الله أنه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ويوم الدين يوم جزاء يعاقب فيه العاصي ، وندَب العباد إلى حمده

(٢١) مدارج السالكين ١/٣٣ .

المطلق ؛ لكماله المطلق .. ولا يكون محموداً من عاقب عباده بلا حُجَّة ، ولا قدرة منهم .. وأثبت الله رحمته ورحمانيته ، ومن مقتضاهما : أنه منح العبد حرية الاختيار والفعل ، ولم يحاسبه إلا على قدرته واختياره .. وندب العباد إلى إعلان العبودية ، والاستعانة بضمير المتكلمين ﴿نَعْبُدُ﴾ و ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ؛ فنسب الفعل إلى خلقه ، وأرغم اللهُ أنفَ الجبرية ، وأضرع جَدَّهم .

قال **أبوعبدالرحمن** : وقد ذكرتُ في مناسبات عديدة أنَّ الجبرية قَعَدِيُّون متكاسلون يقولون : كتب الله مصيرنا قبل أن نُخلَق ؛ فالعلم بشقاوتنا أو سعادتنا علم مسبق عند الله ، ولا قدرة لنا على الخروج عن مقتضى علمه ؛ فجمعوا خصلتين ذميمتين هما : الكذب على الله أنه جبرهم ، والاحتجاج على ربهم في تسويغ عصيانهم ؛ فتركوا العمل، وأهملوا الأسباب .. فأما **الأمر الأول** : فعِلْمُ الله المسبق عِلْمٌ بما سيفعلونه أو يتركونه مختارين غير مجبورين، وهم غير مسؤولين عن علم الله المسبق بأحوالهم ، وإنما هم مسؤولون عن العمل أو الترك الصادرَين عن حريتهم واختيارهم ..

وأما **الأمر الثاني** : فتسامحٌ منهم في السلوك فيما يتعلق بدينهم ، وأما في دنياهم فيؤمنون بفعل الأسباب ؛ فيطلبون الغذاء بالزرع ، ويطلبون الولد بالزواج من الوَلُود ، ويقتصُّون من ظالمهم ولا يعذرونه بالجبر ؛ فلو أجروا الأسباب في دينهم ، ولاذوا بالاستعاذة به ، ودعائه واستعانته ، والإشفاق من غضبه : لَوَجدوا رباً كريماً برًّا جواداً رحيماً يُثيب على فعل الطاعة بالتوفيق إلى طاعة أُخرى ، ويمحو ما يشاء ويُثْبت وعنده علم الكتاب ، ويدفع أقداره بأقداره، ويحقق وعده يقيناً رحمةً وإحساناً وعدلاً ، ويعفو عن إيعاده إذا شاء تكرماً ، ورحمته تسبق غضبه .

ولقد أورد ابن قيم الجوزية عشرة أوجه في تَضَمُّن سورة الفاتحة الردَّ على منكري تعلُّقِ علم الله تعالى بالجزئيات(٢٢) .

قال **أبوعبدالرحمن** : أما تعلُّق علم الله بالجزئيات فهو إجماع أهل السنة والجماعة ، ومقتضى الشرع والضرورة ؛ ولذلك دلائل

(٢٢) انظر مدارج السالكين ١/٧٨-٧٩ .

كثيرة .. أما الأوجه التي ذكرها ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : فبعضها يدل على هذه الحقيقة ، وبعضها لا يدل ؛ **فالوجه الأول** : دلالة قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الدال على كمال الحمد .. قال ابن قيِّم الجوزية : « وكيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئاً من العالم وأحواله وتفاصيله ، ولا عدد الأفلاك ، ولا عدد النجوم ، ولا من يطيعه ممن يعصيه ، ولا من يدعوه ممن لا يدعوه »(٢٣) .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا صحيح ؛ لأن كمال الحمد يعني كمال مقتضي الحمد ، والله يعلم ما كان وما سيكون وما لو كان كيف يكون .

الوجه الثاني: من ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ دلالة كلمة الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ وكلمة ﴿ رَبِّ ﴾.. قال ابن قيم الجوزية : «لابد للإله المعبود والرب

(٢٣) مدارج السالكين ١/٧٨ .. قال **أبوعبدالرحمن** : بل يعلم سبحانه ما هو أقل خطراً من جزئيات حياة خلقه كمقدار ونوع وكيفية ما سيشربه فلان في الساعة الفلانية في الثانية الفلانية من اليوم الفلاني من العام الفلاني .. أحاط به علماً قبل أن يكون ، وبعد أن كان .

المدبِّر أن يعلم عابده ويعلم حاله »[٢٤] .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا صحيح .. إلاَّ أنني أشرح معنى كلمة (لابد) ، فأقول : إنَّ معنى الربوبية تعلُّقُ الخلق بتدبير الخالق وعنايته وألطافه وعموم نعمته لكل مخلوق ، وافتقار كل مخلوق إلى ربوبية الله منذ إيجاده له .. وهذا هو المشاهد في مخلوقات الله مشاهدة لا مجال فيها للمصادفة ، بل كل ربوبية الله بعنايةٍ وقصد وحكمة ، ولا يُتصوَّر الإحكام والقصد والعناية إلا بعلمٍ أزليٍّ[٢٥] دائم ؛ وبهذا كان علم الله المحيط مقتضىً ضرورياً لمعنى رب العالمين .

---

(٢٤) مدارج السالكين ١/٧٨ .

(٢٥) الأزل الضيق ، وقالوا : أزلي .. وأصله يزلي منسوب إلى لم يزل ، ثم أُبدلت الياء همزة للخفة .. والحقيقة أنَّ الكلمة مولَّدة وُجدت في العصر العباسي عندما تُرجمت الفلسفة وبدأ علم التوحيد ، والعرب تُعرِّف القِدَم ضد الحدوث ، وقَدُم الشيْءُ قِدماً فهو قديم [القادري] .
قال **أبوعبدالرحمن** : المولَّد منه عربي صحيح فصيح ؛ لأنه بأوجه النمو اللغوي الصحيحة كالمجاز والنحت ، ومنه عامي لمخالفته للصرف مفردةً ، أو كون معناه لا وجه له من اللغة بأي وجه من

الوجه الثالث : من قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .. قال ابن قيم الجوزية : « فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم »[٢٦] .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا هو الحق والصواب ؛ لأن علم الله ورحمته أزليان ، ومعلومه ومرحومه من مخلوقاته يحدث ويتجدَّد بتدبيره وإذنه ؛ فرحمة الله الدائمة المتجددة على خلقه إنما هي وفق علمه السابق المحيط الدائم ، ورحمة الله التي هي فعله في خلقه من تدبيره الكوني ، وكل تدبير الله الكوني مما سبق به علمه وأثبته في أم الكتاب .

الوجه الرابع : من قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ . قال ابن قيم الجوزية : « فإنَّ مَلِكاً لا يعرف أحداً من رعيته ألبتة ، ولا شيئاً من أحوال مملكته ألبتة : ليس بملك بوجهٍ من الوجوه »[٢٧] .

أوجه النمو المشروعة .. والأزل صحيحة وليس معناها مجرد القِدَم ، بل القِدَم بلا أولية ، والبقاء بلا نهاية .

(٢٦) مدارج السالكين ١/٧٨ .

(٢٧) مدارج السالكين ١/٧٩ .

قال **أبوعبدالرحمن** : الاستدلال بهذه الصورة لا يُوصِّل إلى المقصود ؛ لأن ملوك الدنيا في الأغلب يعلمون من أحوال أفراد الرعية ما يقوم به عموم ملكهم ، ويجهلون أحوالاً كثيرة من خصوصيات الأفراد .. وقول ابن القيم رحمه الله : «فإن مَلِكاً لا يعرف شيئاً من أحوال مملكته » غير قولنا : إن الله لا يخفى عليه شيْءٌ من خلقه وأحوالهم .. وإنما الدليل الصحيح على علم الله من قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ : يكون بقولنا : فإن المُلْك الحقيقي ليوم الدين مقتضى علم الله بخلقه في دار التكليف ، ومقتضى هيمنة الله وقدرته جلَّ جلاله ؛ لأنه جزاء مفصل لا يكون إلا بعلم مفصَّل محيط .

الوجه الخامس : من قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال ابن قيم الجوزية : « الخامس كونه مستعاناً »[٢٨] ، ولم يُبيِّن رحمه الله وجه الدلالة .. قال **أبوعبدالرحمن** : ووجهها أنَّ الله هو المستعان

(٢٨) مدارج السالكين ١/٧٩ .

وحده ، والمستعين عاجز غائب العلم جاهل بالحكمة والمغِبَّة ؛ فوجب أن يكون المستعان به له كمال العلم والقهر والقدرة والحكمة .

الوجه السادس : من قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ قال ابن قيم الجوزية : «السادس : كونه مسؤولاً أن يهدي سائله ويجيبه»[٢٩] .

قال **أبوعبدالرحمن** : لا يهدي إلا عليم ؛ فهذه بديهة ضرورية .

الوجه السابع : كونه هادياً[٣٠] .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا تكرار للوجه السادس ، وهو كون الله سبحانه وتعالى مسؤولاً الهدايةَ ؛ فهو يملكها سبحانه ولا يهدي إلاَّ من كان عالماً ؛ فالوجهان السادس والسابع مقدمتان تدلان على وجه واحد لا وجهين ؛ فكونه مسؤول الهداية يقتضي كونه هادياً، والهادي عليم لا ريب ؛ فالهداية تدبير كوني بمقتضى علم

(٢٩) مدارج السالكين ١/٧٩ .

(٣٠) مدارج السالكين ١/٧٩ .

الله وقدرته وحكمته وهيمنته ، وهي دليل على علم الله بعباده إذا دعوه ، وليست دليلاً على المطلب الصحيح وهو علمه سبحانه بالجزئيات .

الوجه الثامن: من قوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .. قال ابن قيم الجوزية : « الثامن : كونه مُنعِماً »[٣١] ، ولم يشرح رحمه الله وجه الدلالة .. قال **أبوعبدالرحمن :** وجه الدلالة : أنَّ الإنعام لا يُسمى نعمة إلاَّ إذا صدر عن علم .. ونعمة الله داخلة فيما نص عليه القرآن الكريم من أنَّ كل شيء عنده بمقدار ، وأنه يزيد في الخلق ما يشاء ، وكل هذا لا يكون إلا عن علم الله المحيط جلَّ جلاله ، ولكنه ليس دليلاً على المطلب وهو علم الله الحقيقي الصحيح بالجزئيات .

الوجه التاسع: من قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .. قال ابن قيم الجوزية : « التاسع : كونه غضبانَ على من خالفه»[٣٢]

(٣١) مدارج السالكين ١/٧٩ .

(٣٢) مدارج السالكين ١/٧٩ .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا استنباط صحيح نيِّر ؛ لأن غضب الله عليهم مسبوق بعلم الله بما كان منهم ، ومثل هذا تماماً قوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، إلاَّ أن النَّصَّيْنِ يدلاَّنِ على العلم بإجمال لا على العلم بالجزئيات .

الوجه العاشر : بيَّنه ابن قيم الجوزية بقوله : « العاشر : كونه مُجازياً يُدين الناس بأعمالهم يوم الدين ؛ فنفي علمه بالجزئيات مبطل لذلك كله »[٣٣] .. قال **أبوعبدالرحمن :** الصحيح أن يقول : فنفي علمه بالجزئيات معارض لسورة الفاتحة ، وما عارضها فهو باطل ، ومحال أن يُبطل نفيُ المخلوق شرعَ الخالق .. وهذا الوجه الذي ذكره ابن قيم الجوزية وجه صحيح نيِّر إلا أنه تكرار لما أسلفته في الوجه الخامس .. ومَن عَلِمَ أعمالَ خلقه الجزئية من طاعة وعصيان فهو عالم بكل أحداثهم الجزئية ، وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ يدل على علم الله ؛ لأنه لا يعبد إلا من شرع

(٣٣) مدارج السالكين ١/٧٩ .

العبادة بعلمه ، وعلم أحوال العابدين ونياتهم .. إلا أن ابن قيم الجوزية رحمه الله أدرج هذه الدلالة في الوجه الثاني عن ألوهية الله وربوبيته ، وكان ينبغي أن يُفرِّق بينهما ؛ لأن دلالة الألوهية على علم الله وجه غير وجه دلالة الربوبية .. وثمة وجه آخر من الدلالة على علم الله ، وهو أنَّ كلَّ علم للمخلوق فإنما هو منحة من العليم جل جلاله ؛ إذ لا يمنح العلم إلا عليم ، وكل حركة وسكون من جزئيات الإنسان فهي منحة من قدرة الله ، وهذا مقتضى قوله : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؛ إذن مَنْحُ القدرة الجزئية من عليم عالم بها .

قال **أبوعبدالرحمن** : وكل ما سلف إنما هو عن علم الله بالجزئيات من أحوال المكلفين من الجن والإنس ، والله سبحانه عليم بالجزئيات من خلقه وفيهم بإطلاق .

١٦ـ قال **أبوعبدالرحمن** : وأوردَ عُبيد الله بن عبدالله بن أحمد الحاكم الحذَّاء في كتابه « شواهد التنزيل لقواعد التفضيل » في الآيات النازلة في أهل البيت نقولاً فسَّر بها الصراط المستقيم بأنه صراط

محمد ﷺ وآله ، وبهذا استنبط بعض المبتدعين أنَّ الأئمة الاثني عشر من نسل علي بن أبي طالب ﷺ من فاطمة الزهراء رضي الله عنها معصومون : بنص سورة الفاتحة؛ فقد أسند إلى أبي بريدة [ﷺ] أنه قال : الصراط المستقيم صراط محمد وآله ، وأسند إلى تفسير وكيع بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما : أنه فسَّر الآية بقوله : اهدنا إلى حب النبي ﷺ وأهل بيته ، وأسند إلى ابن أبي حاتم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما : أن الرسول ﷺ قال لعلي ﷺ : « أنت الصراط المستقيم » ، ثم ساق أسانيد كثيرة بهذا المعنى عن محدثي الشيعة شبيهة بما نجده في الكافي للكليني وغيره ، وهي ما بين مكذوب أو عمَّن لا يقوم بقوله حُجَّة .

قال **أبوعبدالرحمن** : أما الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ أنه قال لعلي : «أنت الصراط المستقيم» .. فلا يصح أبداً ، بل صحَّ عن علي نفسه ﷺ : أن الصراط القرآن .. ومجال تحقيق هذا فيما شرحته[٣٤] من معاني

(٣٤) وذلك في تفسيري المذاع، وانظر شواهد التنزيل لقواعد التفصيل بتحقيق محمد باقر المحمودي/ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت / طبعتهم الأولى عام ١٣٩٣هـ ، ١/٥٧-٦٦ .

مفردات سورة الفاتحة ، وهكـذا ابن عباس رضي الله عنهما صح عنـه خلاف ما رواه الحاكم الحذّاء .. وبما أن مسألتي هذه خاصة بالمعاني المستنبطة : فإنني مبيِّن أنَّ عليّاً ﷺ ليس هو الصراط المستقيم، ولكنه على الصراط المستقيم، حتى ما أخطأ فيه باجتهاده ﷺ فهو متحرٍّ بذلك الصراط المستقيم .. فأما كونه ليس هو الصراط المستقيم فلأن الله بيَّن في سورة الفاتحة أن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم ؛ فالصراط ليس ناساً ، ولكنه مضافٌ إلى بعض الناس؛ فلا مجال لتفسير نصٍّ مفسَّر بنصٍّ في نفس الخطاب، وهما صراط ومُنعَم عليهم ، وقد أُضيف الأول إلى الأخير؛ فهما غيران .. وعلي ﷺ من المنعَم عليهم، والمنعَم عليهم غير صراطهم .. وبيَّن الله في سورة النساء أنَّ المنعَم عليهم هم النبيون والصدِّيقون والشهداء والصالحون .. وليس علي ﷺ صراطاً للنبيين عليهم الصلاة والسلام ، ولا صراطاً لمن سبق وقته من المنعم عليهم في الأمم الأخرى .. وأمَّا أن علياً ﷺ على صراط مستقيم ؛ فلأنه من الشهداء والصالحين مشهود له بالجنة : بشهادة القرآن الكريم

للسابقين وأهل المشاهد العظيمة ، وبشهادة رسول الله ﷺ للعشرة المبشرين بالجنة.. وأما أنَّ الصراط المستقيم محمد ﷺ فهو على المجاز، لأن سلوك الصراط وحيه، وهو عليه الصلاة والسلام على الصراط؛ فالأمرُ لا يحتاج إلى نقل في إثباته أو نفيه ، بل هو بيِّن بضرورة الدين والاستنباط عن طريق العقل وأداته من علم الدلالة ؛ فنقول : ما جاء به رسول الله ﷺ هو الصراط المستقيم ، وهو الإسلام كله المبيَّن في القرآن وفي سنة رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وإشارة وتقريراً؛ فهو عليه الصلاة والسلام الصراط المستقيم؛ لأنه عليه عقيدة وقولاً وفعلاً وبلاغاً عن الله ، ومثل هذا التعبير جائز في لغة العرب .. وآله ليسوا هم الصراط المستقيم ، وليس عندهم شيئ جاءوا به عن الله يُسمى صراطاً مستقيماً ، وليس عندهم غير اتباع رسول الله ﷺ ؛ فهم على صراط مستقيم كغيرهم من متبعي الأنبياء لا لمجرد قرابتهم؛ إذ مجرد القرابة لم ينفع أبا لهب .. إلا أن آل رسول الله الذين اتبعوه امتازوا بواجب محبتهم عند الأمة بالتبع لرسول الله؛ لأن الله أوصانا بالمودة في القربى »[٣٥]، ولأنَّا

(٣٥) بالاستنباط من دعاء الرسول ﷺ أهل مكة .. قال الله تعالى : ﴿ قُل

نصلي عليهم إذا صلينا على رسول الله ﷺ؛ ولأن زوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين وهن من أهل بيته ﷺ .. ولسنا ندَّعي لهم عصمة كعصمة رسول الله ﷺ في التبليغ، وليس عندهم سر من الدين ؛ لأن الله أوضح بجلاء أن القرآن بلسان عربي مبين؛ فلا يفسر كلام الله بمعنى لا تدل عليه لغة العرب أو تأباه .

ولم يصح قط أن الرسول ﷺ فسَّر الصراط المستقيم بآل البيت ، كما أن كل صاحب أو تابع ادُّعي عليه هذا التفسير بسند غير صحيح : فقد صحَّ عنه خلاف ذلك .. والقرآن الكريم فسَّر الصراط المستقيم بأنه صراط الله ببيانه ومراده الشرعي ، وهو صراط الذين أنعم عليهم بالنظر إلى اتباعهم له ؛ لهذا أضيف إليهم بهذه المناسبة ، ولأن سلوكهم نية وقولاً وفعلاً صادر عن الصراط

لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿ [سورة الشورى/ ٢٣] .. ولا ريب أنَّ الأولى بالمودة الأقرب فالأقرب ؛ لأن قرابته ﷺ في بطون قريش كلها .. وبالنص ؛ إذ ميَّزهم الله بأنهم أصحاب الخُمس .. قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [سورة الأنفال/ ٤١] . [القادري] .

المستقيم .. والله سبحانه فسَّر الذين أنعم الله عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛ فلا مجال بعد هذا للاختلاف.. وكل تفسير صحَّ عن السلف فهو تفسير بالمراد كمن فسَّر الصراط بالإسلام ، أو القرآن ، أو سيرة الرسول ﷺ وصاحبيه ، إذ هما صادران عن الإسلام .. وكل مهتدٍ فهو على صراط مستقيم ، وكل من كان من آل بيت رسول الله من ذرية علي رضي الله عنه - من فاطمة الزهراء رضي الله عنها - إلى أن تقوم الساعة فهو على صراط مستقيم ما دام متبعاً لصراط الله ، ثم له ميزة المحبة في القربى؛ فإن خرج عن صراط الله ببدعة أو كفر فليس هو على صراط مستقيم ، ولا محبة له ، ولن تنفعه قرابته كما لم تنفع أبا لهب .. ومن عادى شرع رسول الله بعد وفاته فهو عدو رسول الله ﷺ كمن عاداه قبل مماته .. وتَميُّزُ المهتدين من آل رسول الله بميزة المحبة لأجل القربى : لا يعني أنهم أصوب وأهدى ممن فضَّلهم الله بلسان رسوله ﷺ ؛ لأجل إحسانهم في الاهتداء كالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .. بل كان علي رضي الله

نفسه وآل بيت رسول الله يدينون لله بحب وتفضيل وتقديم الشيخين الجليلين صاحبي رسول الله ووزيريه .. ومن أراد يقيناً يثلجُ الصدرَ ، ويُفعمُ الوجدانَ فليتابع السطور المضيئة في كتاب (الفِصَل) لابن حزم ، و(منهاج السنة) لابن تيمية رحمهما الله .. وشيعة رسول الله ﷺ ، وشيعة آله هم الذين اتبعوا شرع الله وفق مراده ؛ فجعلوا الألوهية لله ، وجعلوا عصمة تبليغ الشرع لرسول ﷺ، ثم عرفوا لكل سابق سبقه في اتباع الدِّين والجهاد من أجله .. أما من أبغضوا أولياء الله من صحابة رسول الله ﷺ ، وأقاموا مساجدهم مناحاتٍ وملاعن ومشاتم لمن أثنى الله عليهم وأوجب حبهم ، وادَّعوا في القرآن زيادة ونقصاً ، وادَّعوا ما لم يرد به الشرع من عصمة وتشريع أناس ولدوا بعد اكتمال الدين وختم الرسالة ، وفرُّوا من السيرة العملية للصحابة رضي الله عنهم المطابقة في جملتها لسيرة الرسول ﷺ ، وفرُّوا من التفسير بلغة العرب ، وفرُّوا إلى ادِّعاء السر والرمز والحكايات والمنامات : فليسوا على صراط مستقيم ، بل هم من الضالين الذين نطلب من

الله الإعاذة من صراطهم .. وعلي ﷺ واحد من كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وولي من أولياء الله، فمن سبَّه أو أبغضَه فعليه لعنة الله .. أما خلافه مع إخوانه في الفضل والسابقة فهو عن اجتهاد : منهم ذو الأجرين، وذو الأجر الواحد والمغفرة .. وفي بعض حروبهم تغرير وتزوير من المنافقين والكائدين العاملين في الظلام كابن سبأ .. ومن تعب في الاستقراء التاريخي ؛ ليفي بكلِّيَّة الحدث ـ كما فعل الدكتور يوسف العش ـ يجد مفاجآت سرية حدث عنها كوارث لم يعلم بها الخيار المختلفون ، بل هي بخلاف علمهم؛ فبينما يتواعدون على الموادعة صباحاً يلتحم بينهم القتال ؛ لأن رؤوس الفتنة المنبثُّون في كل طرف ، وغمار أهل الكوفة منذ أواخر عهد عمر ﷺ ـ كما بيَّنتُ حالهم في كتابي (أنفاس واعدة وأخرى منتنة) ـ : كذبوا على كل طرف ، وأوهموه أن الطرف الآخر بدأ القتال .. وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله : « فكل من كان أعرف للحق وأتبع له : كان أولى بالصراط المستقيم ، ولا ريب أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم هم أولى بهذه

الصفة ؛ فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ قد جهلوا الحق وعرفه غيرهم ، أو رفضوه وتمسَّك به غيرهم ..ثم إنَّا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما ، فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد إسلام ، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى .. ورأينا أعداء الصحابة بعكس ذلك في كل زمان ومكان؛ فإنه قطُّ ما قام[٣٦] للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام، وكم جرُّوا على الإسلام وأهله من بلية؟!.. وهل عاثت سيوف المشركين عُبَّاد الأصنام من عسكر هولاكو وذويه من التتار إلا من تحت رؤوسهم، وهل عُطِّلت المساجد وحُرِّقت المصاحف وقُتل سروات المسلمين وعلماؤهم وعُبَّادهم وخليفتهم إلا بسببهم ومن جرَّائهم ؟؟ ..

(٣٦) الاستعمال السوي : فإنه ما قام للمسلمين عدو من غيرهم قطُّ إلا كانوا أعوانهم على الإسلام .. قط : معناه الزمان الماضي مبني على الضم مثل قبلٍ وبعد إذا قطعتا عن الإضافة ونوي معناها تقول : ما رأيتُ مثله قطُّ ، وما شاهدته قطُّ .. قط ظرف يأتي بعد «ما» لأن «ما» لها الصدارة لا يتقدم عليها معمول ما سبقته [القادري] .

ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة وآثارهم في الدين معلومة »[٣٧] .

١٧- وثبت من دعاء رسول الله ﷺ قوله عند نحر الأضحية : « **اللهم هذا منك ولك** » .. قال شيخ الإسلام : « فإن قوله « **منك** » هو معنى التوكُّل والاستعانة ، وقوله : « **لك** » هو معنى العبادة »[٣٨] .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذان المعنيان مستنبطان من قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؛ فالعبادة لله في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، وقول المذكِّي في نحر الأضحية (ولك) إعلان نوع من العبادة لله .. والتوكل على الله والاستعانة به في قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؛ لأن الاستعانة تقتضي الثقة والاعتماد ، وهذا هو معنى التوكل إلا أنه لم تظهر لي دلالة « منك » على الاستعانة والتوكل ، بل يظهر لي منها معنى الحمد والاعتراف بنعمة الله ؛ ولهذا صح الحديث : بأن الله قسم الصلاة بينه وبين

(٣٧) مدارج السالكين ٨٣/١ .

(٣٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/١٤ .

عبده نصفين .. وإذْ تقرَّر استنباط أَحَدِ هذين المعنيين فمن المستحسن ذكر تقسيم نفيس جداً لشيخ الإسلام ابن تيمية ، قسَّم فيه أحوال المكلفين حيال هذا المعنى المستنبط؛ فقال رحمه الله: « إذا تقرَّر هذا المعنى فالإنسان في هذين الواجبين (أي العبادة، والتوكُّل) لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة : إما أن يأتي بهما ، وإما أن يأتي بالعبادة فقط ، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط ، وإما أن يتركهما جميعاً »[٣٩] .. هذا هو تقسيم ابن تيمية إجمالاً .. حصرهم في القسمة الممكنة المتصورة واقعاً ، ثم شرح أحوالهم على هذا النحو :

القسم الأول: « قسمٌ يغلب عليه قصد التألُّه لله ، ومتابعة الأمر والنهي ، والإخلاص لله تعالى ، واتباع الشريعة في الخضوع لأوامره وزواجره وكلماته الكونية .. لكنه يكون منقوصاً من

(٣٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/١٤ بتحقيق الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاسم رحمهم الله تعالى / دار عالم الكتب بالرياض عام ١٤١٢هـ ، وهي تصوير لأول طبعة .

جانب الاستعانة والتوكُّل ؛ فيكون إما عاجزاً وإما مفرطاً ، وهو مغلوب مع عدوه الباطن أو مع عدوه الظاهر ، وربما يكثر منه الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته .. وهذا حال كثير ممن يعرف شريعة الله وأمره ، ويرى أنه متبع للشريعة وللعبادة الشرعية ، ولا يعرف قضاءه وقدره ، وهو حَسَنُ القصد ، طالب للحق لكنه غير عارف بالسبيل الموصلة والطريق المفضية »[٤٠] .

قال **أبوعبدالرحمن** : يكثر هذا الصنف حيث يكثر احتفاء الناس بحياتهم الدنيا، وحيث تغلب ملاحظة الأسباب الدنيوية وجدواها: كالاعتماد على الواسطة ، والابتهاج بصداقة ذوي الحَلِّ والعقد ، والاحتفال بعيادة الطبيب للوصفات الوقائية ، والاعتقاد بحتمية السبب العلمي المادي ، والتباري في الكماليات ومظاهر الترف ؛ مما يولد القلق والغبن في الحظوظ ؛ فهذا المجتمع ينقص فيه قسط التوكُّل والاستعانة ، وإن حرص على جانب العبادة .

(٤٠) مجموع الفتاوى ١٠/٤ .

القسم الثاني: الذي ذكره شيخ الإسلام « قسم يغلب عليه قصد الاستعانة بالله ، والتوكل عليه ، وإظهار الفقر والفاقة بين يديه ، والخضوع لقضائه وقدره وكلماته الكونية .. لكن يكون منقوصاً من جانب العبادة وإخلاص الدين لله ؛ فلا يكون مقصوده أن يكون الدين كله لله .. وإن كان مقصوده ذلك فلا يكون متبعاً لشريعة الله عز وجل ومنهاجه ، بل قصده نوع سلطان في العالم : إما سلطان قدرة وتأثير ، وإما سلطان كشف وإخبار ، أو[٤١] قصده طلب ما يريده ، ودفع ما يكرهه بأي طريق كان .. أو مقصوده نوع عبادة وتألُّهٍ بأي وجهٍ كان .. همته في الاستعانة والتوكل المعينة له على مقصوده ؛ فيكون إمَّا جاهلاً ، وإمَّا ظالماً تاركاً لبعض ما أمره الله به آتياً لبعض ما نهى الله عنه .. وهذه حال كثيرٍ ممن يتألَّه ويتصوف ويتفقَّر ، ويشهد قدر الله وقضاءه

(٤١) قال **أبوعبدالرحمن** : ها هنا لا تتعين « وإما » ، بل يصح « أو » ؛ لأن « إما » التي مَرَّتْ مرتين تفريع للسلطان في العالم ، و « أو » انتقال إلى قَصْدٍ آخر غير السلطان في العالم .

ولا يشهد أمر الله ونهيه ، ويشهد قيام الأكوان بالله وفقرها إليه وإقامته لها ولا يشهد : ما أمر به ، وما نهى عنه ، وما الذي يحبه الله منه ويرضاه ، وما الذي يكرهه منه ويسخطه»[٤٢].

قال **أبوعبدالرحمن** : هذه حالة نادرة عند الدراويش ومدَّعي التصوف ، وآخر كلام شيخ الإسلام صريح في ذلك .

وأما **القسم الثالث** : وهم الكفار بالعبادة والاستعانة فلا مجال لذكرهم[٤٣] .

وأما **القسم الرابع** : فهم المحسنون الذين أدوا العبادة والاستعانة[٤٤] .

والله جلَّ جلاله عرَّفنا بنفسه بأنه : الله الرحمن الرحيم رب العالمين ، ثم أمرنا أن نتعرف عليه بالعبادة والاستعانة ، وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية صميم هذا المعنى ؛ فقال : « قال الله

(٤٢) مجموع الفتاوى ٤/١٠-١١ .
(٤٣) انظر مجموع الفتاوى ١٤/١٢ .
(٤٤) انظر مجموع الفتاوى ١٤/٣٦ .

عز وجل في أول السورة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؛ فبدأ بهذين الاسمين (الله ، والرب) .. و(الله) هو الإله المعبود ؛ فهذا الاسم أحقُّ بالعبادة ؛ ولهذا يُقال : الله أكبر ، الحمد لله ، سبحان الله، لا إله إلا الله.. والربُّ هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي، وهذا الاسم أحقُّ باسم الاستعانة والمسألة ؛ ولهذا يُقال[٤٥] : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ [سورة نوح/ ٢٨] ، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[سورة الأعراف/ ٢٣] ، ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ [سورة القصص/ ١٦] ، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ [سورة آل عمران/ ١٤٧] ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة/ ٢٨٦] ؛ فعامة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب »[٤٦] .

(٤٥) قال **أبوعبدالرحمن** : أي يقول العبد ما قاله الله من الآيات التي سيتلو ؛ لأن الله جعلها للمكلفين دعاء .

(٤٦) مجموع الفتاوى ١٣/١٤ .

قال **أبوعبدالرحمن** : كل ما يؤدِّيه العبدُ من حق الله طلباً لمرضاته وخوفاً من سخطه يكون باسم الله ؛ لدلالة الألوهية المقتضية من المخلوقين المكلفين عبادةَ الله ، وكل ما يريده العبد من ألطاف الله ونعمته من عون ومدد وما يلزم ذلك من رجاء وخوف وتوكُّل : فإن منه : ما يكون باسم الرب ؛ فالربوبية تدبير الله الكوني الذي يحتاج العبد إلى ألطافه ، ويتوقَّى نقمته .. والألوهية ذات مقتضى على العبد ليقدم عبادته خالصة صواباً ؛ ولهذا كان الشرك والامتناع عن العبادة ظلماً وكفراً وجحداً وفسقاً ، وكانت العبادة شكراً .. ثم تأتي صفتا الرحمن الرحيم واسطتي العقد بين معنيي الربوبية والألوهية ؛ لأن الله يرحم خلقه رحمة عامة في الدنيا ، وإن كانوا غير شاكرين ؛ ليقيم عليهم الحجة ، وهذا مقتضى الربوبية.. ويرحم الشاكرين رحمة خاصة في الدنيا والآخرة ، وذلك مقتضى الربوبية ومقتضى الألوهية أيضاً ؛ لأن الله يشكر لمن أطاعه فيرضى عنه ، ويدخله الجنة ، ويتحفه بالنظر إلى وجهه الكريم الذي هو غاية النعيم ، ويحييه حياة طيبة مليئة بالسلام والسعادة والرضا ..

قال شيخ الإسلام : « **فالاسم الأول** : (يعني ﴿ ٱللَّهُ ﴾) يتضمن غاية العبد ، ومصيره ، ومنتهاه ، وما خُلق له ، وما فيه صلاحه وكماله .. وهو عبادة الله .. **والاسم الثاني** : يتضمن خلق العبد ، ومبتداه ، وهو أن يربيه ويتولاَّه »[٤٧] .. ثم ذكر رحمه الله التلازم بين الربوبية والألوهية ، ثم شرح كون صفتي الرحمن الرحيم واسطة العقد بين الربوبية والألوهية[٤٨] .

ولقد استقرأ الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير ظاهرة سياق الحمد في كتاب الله العزيز ؛ فقال : « ومشروعية حمده سبحانه في ابتداء الأمر وختامه متقرر معلوم ، وقد تكرر في الكتاب العزيز افتتاحاً واختتاماً، وأمر الله به نبيه ﷺ في قوله : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾.. والمتردِّدُ من صفة حمده سبحانه في معظم الوارد منه في الكتاب العزيز : ما افتُتِحَتْ به أُمُّ القرآن من قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، وما ورد في سورة الجاثية من قوله : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ ، ثم وقع إتباع

(٤٧) مجموع الفتاوى ١٣/١٤ .

(٤٨) مجموع الفتاوى ١٣/١٤-١٤ .

المفتتح من السور بحمده جلَّ وتعالى بأوصاف مختلفات مما انفرد به سبحانه[٤٩] .. ولما حصر ابن الزبير الوارد من حمد الله في صيغتي ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ، ولله الحمد تساءل : لماذا اختلفت الصيغتان والمدلول واحد ؟ .. ثم قرَّر رحمه الله أن الأصل صيغة الحمد لله ؛ وإنما وردت صيغة ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ في سورة الجاثية على تقدير سؤال قد قيل هو : لمن الحمد ؟ .. فجاء الجواب : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ .. قال رحمه الله : « إن قوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذِّب وقهره ، ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وظهور ما كذب الجاحد به ؛ فعند وضوح الأمر كأن قد قيل : لمن الحمد ، ومن أهله ؟ .. فجاء الجواب على ذلك ؛ فقيل : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ نظير قوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ﴾، ثم قال : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر/ ١٦][٥٠].

(٤٩) ملاك التأويل ١٤٩/١-١٥٠ بتحقيق سعيد الفلاَّح / دار الغرب الإسلامي / الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ .

(٥٠) ملاك التأويل ١٥٢/١ .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا تعليل نفيس صحيح ، وهو يؤكد ما أسلفته[٥١] من حصر دعوى الحمد لله وقوعاً واستحقاقاً بصيغتي الحمد لله ، ولله الحمد .. وأضيفُ إلى ما ذكره ابن الزبير وجهاً نفيساً آخر ، وهو أن الله يعلمنا في سورة الفاتحة ماذا نقول ، وماذا نعتقد ؟ ؛ فجاءت الصيغة على الأصل من الابتداء بالحمد لله على افتراض أننا لا نشك في حصر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ واقعاً واستحقاقاً ، وإنما نجدِّد يقيننا بالاعتقاد ، ونتقرب إلى ربنا بإعلان ذلك نطقاً .. وفي سورة الجاثية تقريعٌ للجاحد الذي يرى من ربوبية الله ما يقتضي حمد الله ثم يغفل عن حمد الله ويجحده ؛ فجاء التقدير بلفظ الجلالة ؛ فكأن تقديم الحصر بلام الملك والإضافة والاستحقاق ؛ لأهميته في تقريع المنكرين له محصورُ الخلوصِ لله سبحانه .. أي (لله الحمد الذي تنكرونه) ؛ فهم لم ينكروا أشياء تقتضي الحمد ، وإنما شكُّوا في إضافة الحمد كله لله ؛ فصار

(٥١) أي في تفسيري المذاع .

الأولى بالتقدير ما جحدوه .. وكلتا الصيغتين دالَّتان على حصر الحمد واقعاً واستحقاقاً كما بيَّنته .. والله جلَّ جلاله الذي نزَّل القرآن بلغة العرب هو الذي خلق العرب ولغتهم ؛ فهو الأعلم بمقتضى التعبير وإعجازه ؛ ولهذا تختلف صيغ التعبير ؛ ففي سورة الفاتحة علَّمنا كيف نحمده ؛ لأنه رب العالمين ، ولم يقل : (الحمد لله رب السموات والأرض والعالمين) .. و في سورة الجاثية قال تعالى : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ ، فذكر ما لم يذكره في سورة الفاتحة من كونه رب السموات والأرض .. والسر في ذلك والعلم عند الله أمران :

أولهما : أنَّ الله يقرع في سورة الجاثية أسماع قومٍ جاحدين شهدوا ما يقتضي الحمد من ربوبية الله وهيمنته ولم يحمدوه ؛ فبرهن لهم بما يقتضي إلزامهم بأنَّ الحمد لله ، وذلك بذكر أنه رب السماوات والأرض ، ثم ذكر أنه رب العالمين .. والجاحدون جُزْءٌ من العالمين ؛ فأقام الحجة عليهم أوَّلاً بما هو أكبر مِن خلقهم كقوله تعالى : ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ

ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة غافر/ ٥٧] .. أما سورة الفاتحة فهي تعليم من الله للمؤمنين والمسبِّحين ؛ فيكفيهم أن يعلموا أنَّهم من العالمين ، وأنَّ الله ربهم ؛ فالمقام مقام تعليم لا مقام بَرهَنة .

وثانيهما: ما ذكره ابن الزبير بقوله : « إن قوله ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذِّب، وقهره ، ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل عليهم السلام، وظهور ما كذب الجاحد به ؛ فعند وضوح الأمر كأن قد قيل : لمن الحمد ، ومن أهله ؟ .. فجاء الجواب على ذلك فقيل : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ .. الخ »[٥٢] ، فما مضى تقريران نفيسان ذكرهما ابن الزبير[٥٣] ، وهما الواقع المشهود ؛ فإننا نرى السور والآيات التي نزلت بمكة كلها برهنة ومحاجَّة ؛ لأن الناس لم يدخلوا في دين الله أفواجاً .. وفي المدينة كانت الآياتُ أوامرَ ونواهيَ إلا ما كان محاجَّةً لليهود والمنافقين ؛ فالأمة التي عرفت الدين بصحة البرهان لا تحتاج إلا إلى فهم المراد لتمتثله .

(٥٢) ملاك التأويل ١/١٥٢ .

(٥٣) انظر ملاك التأويل ١/١٥٢-١٥٤ .

ولقد افتتح الله سور الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر بقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .. ولم يفتتح بقية السور بذلك .. وقد استنبط ابن الزبير استنباطات لتعليل ذلك ، وموجزه : أن سورة الفاتحة أول السور ، ومطلع القرآن العظيم ؛ فكان افتتاحها بالحمد مناسباً .. وأما سورة الأنعام فهي مشيرة إلى مذهب الثنوية، ومن قال بأن الفعل لفاعِلين ؛ فاقتضى ذلك تقديم الحمد محصوراً لله .. وأما سورة الكهف فلأن ما فيها من قَصَص : لم يتكرر ذكره في القرآن ؛ فكان تقديم حمد الله لذلك .. وهكذا سورة سبأ مع ما تضمنته من معاني ربوبية الله كتسخير الجبال والطير والجن وإلانة الحديد ، وهكذا سورة فاطر تضمنت جديداً من بيان بعض معاني الربوبية كخلق الملائكة عليهم السلام ، وكونهم رسلاً أولي أجنحة ، وإمساك السموات والأرض أن تزولا[٥٤]..

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا غير مطرد ؛ فمثلاً في سورة الروم كثير من آيات الله ، وكذلك في سورة العنكبوت عدد من القصص ، ومع هذا

(٥٤) انظر ملاك التأويل ١/١٥٤-١٥٥ .

لم تُفتَتحَا بالحمد ، ولعلَّ الله يفتح ـ بعد تتبعٍ استقرائي ـ بمعرفة السر ؛ فأذكره في بقية أجزاء هذا الكتاب .

قال ابن الزبير : « فناسب هذه المقاصد المفردة التي لم ترد في غير هذه السور ما افتتحت به ، ولا يلزم على هذا اطراد ذلك في كل سورة انفردت بحكم أو تعريف ليس في غيرها ، بل جواز ذلك مستحب على الجميع »[٥٥] .

قال **أبوعبدالرحمن** : ما ذكره ابن الزبير واضح ، وهو من الفقه في الدين .. إلا أننا لا نحصر أسرار القرآن وإعجازه فيما علمناه ، بل نعتبر بما علمنا ، ونكِل الأمر لعالمه فيما لم نعلم ، ولابد من استقراء دقيق لما يفتتح أو يختتم من السور بالحمد ، ليكون التعليل ظاهر الرجحان أو قريباً منه .

وهذه السور الكريمة التي افتتحها الله بحمده تُوبع فيها الحمد بأشياء من ربوبية الله ؛ ففي سورة الفاتحة وصف المحمود بأنه رب

(٥٥) ملاك التأويل ١/١٥٥-١٥٦ .

العالمين ، وفي سورة الأنعام وصف المحمود بأنه الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، وفي سورة الكهف وصف المحمود بأنه الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وفي سورة فاطر وصف المحمود بأنه فاطر السموات والأرض .. وقد بيَّن الحافظ ابن الزبير مناسبة كل وصف لموصوفه من واقع موضوع السورة المفتتحة بالحمد[٥٦] .. وبيانه رحمه الله مليحٌ جداً، ولكن له مزيد بيان من قِبَلي إن شاء الله . وحسبي هاهنا أن أُبيِّن أنَّ حمد الله اعتقاداً وقولاً أَمْرٌ فطر اللهُ عليه الحيوانات والجمادات ، وكلَّف به الجن والإنس ، وكل هؤلاء مربوبون من خلق الله ؛ ولهذا بَيَّن اللهُ دواعي حمده بمعاني ربوبيته في السور المذكورة آنفاً ، ومن هذه المعاني ما يتعلق برحمته للعالمين في معاشهم من خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ومنها ما يتعلق برحمته لهم في معادهم كإنزاله الكتاب المبين على عبده ورسوله

(٥٦) انظر ملاك التأويل ١/١٥٦-١٥٨ .

الهادي بهداية الله له .. وسورة الفاتحة متضمنة لكل معاني الربوبية باللزوم أو النص ؛ فمن فسَّر العالمين بمن سوى الله من جميع مخلوقاته فمعاني الربوبية كلها مذكورة بالنص في عموم مدلول العالمين ، ومن لم يفسرها بذلك يُدخِل جميع معاني الربوبية في عموم الحصر من صيغة الحمد لله ، وفي عموم كلمة الرحمن ، ويجعلها مقتضىً لكونه المستحق للعبادة والاستعانة في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ .. وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كما ورد استفتاحاً ورد اختتاماً ، إلا أنه في الاختتام لم تتغير الصيغة ، بل كل ما ورد فبصيغة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؛ فقال تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام :٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة يونس :١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الزمر/ ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [سورة الصافات/١٨١، ١٨٢] .. والسرُّ في اتحاد الصيغة : أنَّ هذا تعليم

للمؤمنين والممتثلين ليحمدوا الله في خواتم أمورهم اعترافاً بنعمة الله عليهم ؛ فارتضى لهم ربهم من الاختتام ما ارتضاه لهم من الاستفتاح في سورة الفاتحة ، وليس في ذلك محاجَّةٌ وردٌّ على منكر؛ ليُحتَمَل تغيُّر الصيغة .. والله سبحانه بيَّن لنا أنَّه رب العالمين، وهذا عام لجميع معاني الربوبية .. ثم ذكر أنه الرحمن الرحيم، وهاتان صفتا الرب .. ثم ذكر أنه مالك يوم الدين ، وهذا من معاني ربوبيته داخلٌ في عموم قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .. ومع هذا لم ترد ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ بعد ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ مباشرة ، وإنما فصل بينهما بالرحمن الرحيم .. وقد قرَّر الجواب عن هذا التساؤل الحافظ ابن الزبير ؛ فقال : «والجواب عن هذا أنه تعالى خصَّص هذه الأمة بخصائص الاعتناء والتكريم .. قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران/ ١١٠] ، وجعل نبينا ﷺ سيد ولد آدم ، والمصطفى من كافة الخلق .. والتابع يَشرُف بشرف المتبوع ، وقد خاطبه تعالى بخطاب الرحمة والتلطُّف والاعتناء؛ فقال تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ

لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة/ ٤٣] ؛ فقدَّم العفو بين يدي ما صورته العتب ؛ لئلا ينصدع قلبه ﷺ(٥٧) ، وكذلك تلطَّف لعباده من أمة هذا النَّبي الكريم ، وأمَّنهم عند خوفهم وإشفاقهم من عرض أعمالهم وحسابهم ؛ فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ .. ولما كان الله تعالى قد وصف هذا اليوم بأنه يوم تشخص فيه الأبصار ، وتضع كل ذات حَمْلٍ حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى : قدَّم هنا تعريفهم بأنه الرحمن الرحيم ، وأنه مالك ذلك اليوم ؛ فآنس هذه الأمة كما آنس نبيَّهم وذلك أبين شيء »(٥٨) .

(٥٧) قال **أبوعبدالرحمن** : هذا ظاهر فيما وقع من اجتهاده عليه الصلاة والسلام ، وقد يأتي التهديد الشديد له ﷺ فيما لم يفعله بأن لا يفعله؛ لتجريده للعبودية لربه كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة/ ١٤٥] ، وسيأتي بيان ذلك بعد أسطر إن شاء الله .

(٥٨) ملاك التأويل ١/١٦٨-١٦٩ .

قال **أبوعبدالرحمن** : تقريرُ ابن الزبير هاهنا نفيسٌ وجليٌّ ، وهو مفهوم من نصوص أخرى غير سورة الفاتحة .. وكما تلطَّف الله لعبده وصفيِّه محمد ﷺ : أغلظ الوعيد والعقاب على المخالفة كما في سور يونس والإسراء والزمر ؛ ليجرِّده للعبودية ، وليحذِّر أمَّته وينذرهم خطر المخالفة ومن أعظم ما ورد في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [سورة الإسراء /٧٥] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [سورة الإسراء/ ٣٩] .. والذي أختاره في تقرير المناسبة بين الآيات الثلاث : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ و﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ و﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، وتوسُّطِ صفتي ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ من واقع السورة نفسها : أن الله بَيَّنَ لنا أنه رب العالمين ، وقد أسلفتُ أنَّ ربوبية الله تعني تدبيره وإيجاده وخلقه كما تعني معاملته لخلقه وتصرفه فيه .. وقدرة الله وقهره من معاني ربوبيته ؛ فنصَّ الله على صفتي الرحمن الرحيم ، وأنَّ له الحمد .. وعلمنا من النصوص الأخرى أن فعله عدلٌ وحكمة ، وأنه لا يظلم أحداً ، وإنما يجازي ويقهر من حادَّه وجحده ، وأن رحمته تسبق غضبه ، وأنه حليم لا

يأخذ بأول ذنب ؛ فلما صحَّ كل ذلك : علمنا أن مبنى ربوبية الله على الرحمة ، كما علمنا أن المؤمن والكافر مخاطبان بدين الله ملزمان به .. ورحمة الله عامة لهم، ثم ميَّز المؤمنين برحمة خاصة[٥٩] هي هداية التوفيق المطلوب من سائر الأمة سؤالها من الله ؛ فلما صحَّ كل ذلك صار من البدهي ورود صفتي الرحمن والرحيم مباشرة عقب قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الدَّالة على عموم الربوبية، وأن مبناها على الرحمة .. ثم صار من البدهي بعد ذلك أن يرد بالتخصيص أحد معاني الربوبية وهو : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ؛ لأن ثمرة خلقه لنا ـ وخلق الله أحد معاني الربوبية ـ أن نطيعه ولانعصيه .. وبعد قيام الحجة علينا باعتقاد الربوبية، ومشاهدة رحمة الله لنا : جاء لفت

(٥٩) صيغة الرحمن تدل على الاتصاف الذاتي ، وهو بلوغ الغاية في الاتصاف بالرحمة ، والرحيم صفة له سبحانه بالنظر إلى تعدية شيئ من رحمانيته إلى خلقه ؛ وهي بلوغ الغاية في فعل الرحمة .. ومهما نال الكفار من رحمة الله فقد حُرموا أعظم نعمة ؛ لمحادتهم الله ، ولم يهدهم الله هداية تسديد ؛ فكانت رحيم خاصة بالمؤمنين بهذا الاعتبار ـ أي هذه النتيجة الظاهرة من حال الكفار في الدنيا وما يترتب عليها من جزاء في الآخرة ـ لا بمعنى الصيغة التي ورد عليها وزن الصفة .

النظر إلى يوم الدين حيث يُحاسَب الناس بما لله عليهم من رحمة في الدنيا لم يؤدُّوا شكرها، وينال المؤمنين مقتضى وعد الله لهم بأنه رحيم .

وفي مسألة القراءات بيَّنتُ معنى القراءتين : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ و ﴿ ملِك يوم الدين ﴾[٦٠] ، وفي مسألة الاستنباط ههنا يظهر مدى صحة القراءتين ، وأن معناهما مقصود ؛ فالقراءة التي تنص على الوجهين تقتضي معنى القراءة الأخرى من سياق السورة نفسها ، وهذا ما بيَّنه الحافظ ابن الزبير رحمه الله .. قال : «قوله تعالى : ﴿ ملِك يوم الدين ﴾، وفي قراءة عاصم والكسائي : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، وفي سورة آل عمران : ﴿ قل الله مالك الملك ﴾ ، ولم يُقرأ بغيره .. و في سورة الناس : ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، ولم يقرأ بغيره ؛ فقد تضمَّنت هذه الآيات أنه سبحانه مالك الملك .. أما آية الفاتحة فبإفصاح القراءاتين ، وأما آية آل عمران فلفظ الملك المضاف إليه مالكُ في قوله:﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ؛

(٦٠) وذلك في تفسيري المذاع .

ففُهم الأمران .. وأما آية الناس فقوله تعالى : ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مُغْنٍ عن الإفصاح بمالك الناس ؛ لأن الربَّ المالكُ .. فكأن قد قيل : قل أعوذ بمالك الناس ، ملك الناس ؛ فاقتضى الإيجاز والاتصال ووحدة الكلام من حيث المعنى .. أما آية الفاتحة فقوله فيها : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ آية انفردت عما قبلها بالتعريف بما لم تعرف به الآية التي قبلها من التنصيص على أنه ملك يوم الحساب ؛ فمصرَف الكلامين في الآيتين إلى مقصودين ؛ وذلك أن قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كلام مصرفه بحسب التفصيل الوارد هنا إلى حال الدنيا مع انسحاب معناه على الدارين[٦١] ، ثم أطال رحمه الله الكلام بما فيه نوع غموض ، ولكنني مسهل الأمر ؛ فعلى قراءة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يُفهم أنه مالكه من مدلول قوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وعلى قراءة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يُفهم أنه ملكه من قوله

(٦١) ملاك التأويل ١/١٦٩-١٧١ باختصار غير مُخِلٍّ .

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أيضاً ؛ فمفهوم المالكية مأخوذ من معنى الرب كما في سورة الناس ؛ لأن المربوب مُلك ربِّه ، ومفهوم المُلْك مأخوذ من معنى الرب ؛ لأن الرب مَلِك مربوبه .. والإعجاز من خصائص القرآن الكريم .. قال ابن جرير رحمه الله: « إنَّ الله تعالى ذِكْرُهُ جمع لنبينا محمد ﷺ ولأمته ـ بما أنزل إليه من كتابه ـ معاني لم يجمعهن بكتاب أنزله إلى نبيٍّ قبله، ولا لأمة من الأمم قبلهم ؛ وذلك أن كل كتاب أنزله الله جلَّ ذكره على نبيٍّ من أنبيائه قبله فإنما أنزله ببعض المعاني التي يحوي جميعها كتابُه الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ : التوراة التي هي مواعظ وتفصيل ، والزبور الذي هو تحميد وتمجيد ، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير .. والكتاب الذي أُنزل على نبينا محمد يحوي معاني ذلك كله ، ويزيد عليه كثيراً من المعاني التي تخلو منها سائر الكتب غيره .. ومن أشرف تلك المعاني التي فَضُلَ بها كتابُنا سائر الكتب قبله نظمُه العجيب ، ورصْفه الغريب ، وتأليفُه البديع : الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء ، وكَلَّتْ عن

وَصْفِ شكل بعضه البلغاء ، وتحيَّرت في تأليفه الشعراء، وتبلَّدت ـ قصوراً عن أن تأتي بمثله ـ لديه أفهام الفهماء .. مع ما يحوي مع ذلك من المعاني التي هي : ترغيبٌ ، وترهيب ، وأمر ، وزجر ، وقصص ، وجدل ، ومثل ، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أُنزل إلى الأرض من السماء »[٦٢] .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا الكلام الطويل النَّفيس قدَّم به ابن جرير بين يدي من قال : «إن الآيتين ـ وهما قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ ـ قد حوتا جميع معاني سورة الفاتحة ؛ ووجه ذلك أنَّ مَنْ عرَف مَلِكَ يوم الدين فقد عرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وأن من كان لله مطيعاً فلا شك أنه متَّبع سبيل من أنعم الله عليه ، وعن سبيل من غضب الله عليه وضلَّ منعدلٌ ؛ فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من

(٦٢) تفسير ابن جرير ١٩٨/١-١٩٩ بتحقيق الشيخ محمود محمد شاكر رحمهم الله / ط دار المعارف بمصر / الطبعة الثانية .

الحكمة التي لم تحوها الآيتان اللَّتان ذكرنا ؟»[٦٣].. فأجاب ابن جرير رحمه الله : بأن الإيضاح الذي في سورة الفاتحة من الإعجاز الدال على رسالة محمد ﷺ ؛ لما فيها من رصف عجيب، ونظم غريب ؛ فما في السورة من تحميد وتمجيد وثناء على الله تنبيهٌ للعباد على عظمته وسلطانه وقدرته وعِظَم مملكته ؛ ليذكروه بآلائه ، ويحمدوه على نعمائه ؛ فيستحقوا به منه المزيد ، ويستوجبوا عليه[٦٤] الثواب الجزيل .. كما أن ما فيه من نَعْتِ مَنْ أنعم عليه بمعرفته ، وتفضَّل عليه بتوفيقه لطاعته : تعريفُ عبادِه أن كل ما بهم من نعمة في دينهم ودنياهم فمنه ؛ ليصرفوا رغبتهم إليه، ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون سواه »[٦٥] .

قال **أبوعبدالرحمن** : توجيه الإمـام ابن جرير توجيه نيِّر لا شُبهة

(٦٣) تفسير ابن جرير ١٩٨/١ بتحقيق الشيخ محمود شاكر .

(٦٤) قال **أبوعبدالرحمن** : إنما أوجب الله ذلك على نفسه سبحانه ، ووعدُه حقٌّ لا خُلْفَ فيه .

(٦٥) تفسير ابن جرير ١٩٩/١ .

فيه ، ولكن التوجيه الأقرب إلى الفهم والواقع معاً : أنَّ آيتي ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لا تُغنيان عن أول سورة الفاتحة وآخرها ؛ لاعتبارين :

أولهما : أن سورة الفاتحة من أول ما نزل من القرآن الكريم .. والعلم بأن الله مالك يوم الدين ، وأنه المعبود والمستعان : لا يقتضي معنى الحمد والرحمة في عُرف المخلوقين من الجن والإنس الذين يعرفون من الملك الغلبة والقهر دون الرحمة ، ولا يعترفون بالحمد إلا في وقت الرخاء والسراء .. وإنما كان معنى الرحمة والحمد مفهوماً في تصوُّر المؤمن ، وجزءٌ من عقيدته بعد نزول القرآن وبلاغ الرسول ﷺ بما يكمِّل ويتمم عقيدة المسلم وتصوُّرَه .

وثانيهما : أنَّ سورة الفاتحة لم تكن مجرد إخبار ، وإنما هي إخبار بالواقع ، وتعليم لنا بما نقول ونعتقد ونطلب ؛ فمعرفتنا بأن الله مالك يوم الدين لا تكفينا عن الانطراح بين يدي الله ودعائه ؛ لأن يهدينا الصراط المستقيم .. ومعرفتنا بأن به الاستعانة وله العبادة لا يغنينا عن الإقرار بحمد الله والابتهال له بذلك وتمجيده بأنه

الرحمن الرحيم .. وكل تصور للمسلم استخلصه من دين ربه فلابد أن ينبثق عنه سلوك في القول والعمل .. ولقد حذقتُ في أول طلبي للعلم تصحيحات علماء اللغة العربية لبعض كلام عامة الناس غير المحقق لغةً ، ومما صحَّحوه قولهم : شكر فلانٌ فلاناً .. فقالوا : بل الصواب : شكر له فعله ، وبقي هذا التصحيح في ذهني ، ولم أدرِ ما سرُّه ، ثم رأيتُ الإمام ابن جرير يقول : « وقد قيل : إن قول القائل : «الحمد لله» ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى، وقوله : «الشكر لله» ثناء عليه بنعمه وأياديه »[٦٦] .. ثم رأيتُ القرآن الكريم يذكر الحمدَ مقصوراً عليه ومحصوراً له ، ثم يَعْقُبُ ذكرَ الحمدِ معانٍ من ربوبية الله كما أسلفت ذلك[٦٧] .. ثم رأيتُ الشكر في القرآن الكريم يعني الاعتراف بنعمة أو نِعَمٍ معينة، ويعني إظهار هذا التصور بالقول والعمل؛ ولهذا قال الراغب الأصفهاني : « الشكر تصور النعمة ، وإظهارها .. وقيل : هو

(٦٦) تفسير ابن جرير ١/١٣٢ .

(٦٧) أي في تفسيري المذاع .

مقلوب عن الكشْر أي : الكشف ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها »[٦٨] .. ورأيتُ في القرآن الكريم أن الشكر يعني العمل ، وأن للخلق شكراً ، وأن للخالق شكراً ، إلا أنَّ الشكر لله لا يستوفيه أحدٌ ، وأن الشكر يتعدى إليه الفعل مباشرة ، ويتعدى هو إلى المفعول بالواسطة ، وبراهين ذلك كله قوله تعالى : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سورة سبأ/ ١٣] ، وقوله : ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾ [سورة لقمان/ ١٤] ، وقوله : ﴿ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران/ ١٤٥]، وقوله : ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [سورة النمل/ ٤٠] ، وقوله : ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سورة سبأ/ ١٣]، وقوله عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۦۚ ﴾ [سورة النحل/ ١٢١] ، وقال عن نوح : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [سورة الإسراء/ ٣].. قال الراغب الأصفهاني : «وإذا وُصف الله بالشكر في قوله : ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [سورة التغابن/ ١٧]

(٦٨) المفردات ص٤٦١ بتحقيق صفوان عدنان الداووي / طبع دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت/ طبعتهم الأولى عام ١٤١٢هـ .

فإنما يُعنَى به إنعامُه على عباده ، وجزاؤه بما قاموا به من العبادة»[٦٩] .

ثم رأيتُ الراغب الأصفهاني يفرِّق بين الحمد والمدح والشكر؛ فيُعرِّف الحمدَ : « بأنه الثناء عليه بالفضيلة ، وهو أخصُّ من المدح وأعمُّ من الشكر ؛ فإن المدح يُقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبغير اختياره كمدحه بصباحة وجهه ، والحمدُ لا يكون إلاَّ في الفعل الممدوح باختيار الفاعل ؛ والشكر لا يُقال إلا في مقابلة نعمة؛ فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكراً ، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمداً »[٧٠] .. ولتعلُّقِ الشكر بالنعمة لا بالذات قالوا : شكر له ، ولا يُقال : شكره .

قال **أبوعبدالرحمن** : من هذه الوقائع والظاهرات تبيَّن لي حقائق مهمة من معاني التأويل المستنبطة من حمد الله وشكره : منها أن

(٦٩) المفردات ص٤٦٢ .

(٧٠) المفردات ص٢٥٦ .

صفة الله بأنه الحميد أبلغ وأعمَّ صفات الله التي يُقَدَّم بها بين يدي عبادة الله والابتهال إليه ؛ لأنها ثناء على الله بأسمائه وصفاته ، وهذا معنى الكمال ، وإنما يقرن معها معاني الربوبية ؛ لأن المخلوقين فُطروا على أن يكون حمدهم لأشياء يعاينون تعلقها بهم؛ ولهذا كان حمدهم في السراء أكثر ، ولا يَحمَد الله على الضراء إلا المحسنون .. وهي تتضمن معنى الشكر ؛ لأن شكر العمل الصالح من صفة الحميد ، ولهذا فسَّروا الحميد بالمحمود والحامد معاً .. والحمد أيضاً مدح لله وثناء عليه ؛ لأن لله المثل الأعلى من كل شيئ ؛ فكل صفاته حميدة محمودة .

والعبدُ يَشكُر في حالة أو حالات شكراً يتعلَّق بنعمة عادية حصلت له من غيره كالبر والصلة ، والمواساة ؛ ولهذا تعدى فعل الشكر للنعمة مباشرة، ولم يتعدَّ لفاعلها إلا بحرف الجر مثل قولك : « شكر الله سعي زيد ».. التقدير : شكر الله لزيدٍ سعيه .. وتقول : شكرتُ سعيَ من أحسن .. وإنما تعذَّر إجراء تعدية حرف الجر إظهاراً لا تقديراً ؛ لأنه سيكون في الكلام فضول ؛ فتقول : شكر

الله لزيد سعي زيد .. وذلك بخلاف : شكرت لزيدٍ قيامه على ضعفاء البلد .. وكل فعل تعدَّى إلى فاعل النعمة بحرف الجر فهو على تقدير تعدية الشكر إلى النعمة التي قام بها المشكور له .. وشكر المخلوق للخالق لا يتعلق بنعمة معيَّنة ؛ بل يتعلَّق بنعم الله على الإطلاق ؛ لأن كل نعمة بنا فمن الله ؛ فصحَّ بهذا أن الشكر متعلِّق بنعم الله التي هي معاني ربوبيته ؛ ولهذا جاء الشكر بمقابل العمل لأداء الواجب والنفل .. أما الحمد فيتعلَّق بذات الله وأفعاله معاً : أما بذات الله فلأن له الكمال المطلق ، وأما بأفعال الله فلأن له النعمة المطلقة ؛ فكان الحمد بالنسبة للمكلَّف دالاً على العقيدة والعمل معاً ؛ ولهذا كان حمد الله مفتتح أمورنا وختامها ، ولهذا أيضاً صحَّ عن الأسود بن سريع ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس شيءٌ أحبَّ إليه الحمدُ من الله تعالى ؛ ولذلك أثنى على نفسه فقال : الحمد لله** »(٧١) .

(٧١) انظر تخريج الشيخ أحمد شاكر له ، وتصحيحه إياه في تحشيته على تفسير ابن جرير ١٣٧/١ .

وقد ذهب ابن جرير إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد ، ولا دليل له إلا أنه يُقال : الحمد لله شكراً .. وقد ردَّ العلماء ما ذهب إليه .. إلا أن محقِّق تفسير الطبري أستاذنا الشيخ محمود شاكر رحمه الله ذهب إلى أن ما قاله الطبري أقوى حُجَّةً ، وأعرق عربيةً من الذين ناقضوه - يعني أئمة اللغة المتفرغين لمباحثها !! -[٧٢] .. والذي أحققه ما أسلفته من نصوص الشرع الصحيحة المفرقة بين الحمد والمدح والشكر ، وأن هذا التفريق انبنى عليه معانٍ استنباطية.. أما قوله : « الحمد لله شكراً » : فلا يعني أن الحمد بمعنى الشكر ، وإنما هو دليل جديد على أنَّ الحمد غير الشكر ، ووجه ذلك أنَّ الله يُحمد بمقتضى الكمال لكونه رباً إلهً له الأسماء الحسنى ، ويُحمد بمقتضى نعمته .. وهذا هو الشكر ،

(٧٢) انظر تحشيته على تفسير ابن جرير ١٣٨/١ . قال أبوعبدالرحمن : جرت عادة من حقَّق كتاباً لإمام أعجب المحقق به وبكتابه : أن ينتصر له بدافع الإعجاب .. والمطلوب العدل في الإنصاف والانتصاف ، وكثير من الناشئة الممارسين لتحقيق التراث يظنون أنَّ نَصْرَ أقوال المؤلف مطلبٌ ضروري ، وبعضهم يستهويه الإعجاب .

فظهر أن الشكر أخصَّ من الحمد ؛ لأنه بعض معانيه ، وظهر أن القائل : « الحمدُ لله شكراً » اعترف لربه بالكمال والنعمة في قوله : « الحمد لله » ، ثم اعترف لربه بواجب النعمة لقوله : « شكراً » .. وقد أسلفتُ أنَّ من جبلة البشر الاعتراف بالحمد لمقتَضَى الشكر ؛ ولهذا ترد معاني الربوبية المقتضية للشكر عقب الحمد المقتضي للكمال والنعمة معاً .. ولو ذهبنا إلى ما ذهب إليه أبوجعفر بن جرير رحمه الله من جعل الحمد بمعنى الشكر لسقط معنى المدح والثناء الذي يكون لكمال الذات كما يكون لكمال النعمة والفضل من فعل الذات .. وهذا غير صحيح ؛ لأنه نقص في تصور المسلم .. وأكبر برهان على ذلك ما أسلفته من أن الحمد في لغة العرب يتعدَّى للذات مباشرة ، أما الشكر فيتعدَّى إلى الفعل ولا يتعدَّى للذات إلا بواسطة .

وقراءة فاتحة الكتاب تقتضي أمرَ الله تعالى إيانا بفعل الحمد ، وتعليمنا كيف نحمده ، وكيف نثني عليه ؟ .. والدليل على أنَّ قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - مع أنه تعليمٌ لنا الحمد -

هو أمرٌ لنا : قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .. قال الجصَّاص: «فاعلم أنَّ الأمر بقول الحمد مضمر في ابتداء السورة »(٧٣).

قال **أبوعبدالرحمن** : ما ذكره الجصاص هو الظاهر ، وهو الصحيح ؛ لأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مما يقوله ويفعله ويعتقده المخلوقون ؛ فتحتَّم أن في الكلام تقديراً هو : قولوا : إياك نعبد .. وقولوا : إياك نستعين .. فصحَّ أنَّ في أول السورة تقديراً أيضاً هو قوله : قولوا الحمد لله .. ثم علمنا من بيان رسول الله ﷺ في خطبه وافتتاحه قراءةَ الصلاة بقراءة الفاتحة : أنَّ الحمد شيء أُمرنا بفعله وقوله ، ولم يأتِ المقدَّر مصرحاً به ؛ لأن الله جلَّ جلاله يحمد نفسه .

واستنبط الجصاص دلالة السورة على الأمر بالدعاء بالتثبيت على الهداية التي هدانا لها ربنا من وجوب الحمد له واستحقاق الثناء والعبادة ؛ لأن قوله : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو دعاء للهداية والتثبيت عليها في المستقبل ؛ إذ غير جائز ذلك في الماضي .

(٧٣) أحكام القرآن ١/٢٣ ، دار الفكر ، وهو تصوير للطبعة القديمة .

قال **أبوعبدالرحمن** : ما ذكره الجصاص صحيح إلا أنني لا أجعله استنباطاً متعدداً ، بل هو استنباط واحد هو : أنَّ كل خبر أو أمر في سورة الفاتحة مسبوق بتقدير (قل) ، وهذا المقدر هو الدال على الأمر .

واستنبط برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي استنباطاً يفرح به كل ذكي ، وهو دلالة سورة الفاتحة على مقصدين جليلين :

أولهما: جمع الخلق على الحقِّ .

وثانيهما: إثبات الشعور بمراقبة الله جل جلاله .. وقد شرح البقاعي هذا الاستنباط بقوله : « وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال ، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم ، وهي عين الدعاء ؛ فإنه التوجه إلى المدعو ، وأعظم مجامعها الصلاة .. إذا تقرر ذلك فالغرض الذي سِيْقَت له الفاتحة هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال ، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة ، وباستحقاق العبادة والاستعانة .. ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم لإفراده بالعبادة ، فهو مقصود الفاتحة بالذات ،

وغيره وسائل إليه ؛ فإنه لابد في ذلك من إثبات إحاطته تعالى بكل شيء ، ولن يكون الإثبات حتى يُعلم أنه المختص بأنه الخالق الملك المالك ؛ لأن المقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب نصبُ الشرائع ، والمقصود من نصب الشرائع جَمْع الخلق على الحقِّ ، والمقصود من جمعهم تعريفهم بالمِلك وبما يرضيه .. وهو مقصود القرآن الذي انتظمته سورة الفاتحة بالقصد الأول ، ولن يكون ذلك إلا بما ذُكر علماً وعملاً »(٧٤) .

قال **أبوعبدالرحمن** : قوله : « هي عين الدعاء » يريد السورة لما فيها من الحمد .. وهذا صحيح بالاعتبار الشرعي لا بالمعنى اللغوي ؛ فالحمد غير الدعاء .. وبالاعتبار الشرعي فالله وعد الشاكر بالزيادة ، والشكر من معاني الحمد ؛ فالحمد إذن طلب .. ومن معاني الحمد المدح ، ومن أسباب قبول الدعاء حمد الله أولاً ؛

(٧٤) نظم الدُّرر ١/٢٠-٢٢ الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ / دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، وهي تصوير للطبعة الأولى عام ١٣٩٦هـ ، ط. دائرة المعارف العثمانية .

فالحمد مقدمة للدعاء .. ولا يُسلَّم للبقاعي رحمه الله أن مقصود الفاتحة بالذات مراقبة العباد لربهم ؛ لإفراده بالعبادة ، وأن غيره وسائل ، بل ما ذكره البقاعي من أهم مراد يتعلق بأفعال العباد ، وأهم من ذلك ـ لأنه سبب ، والعبادة نتيجته البرهانية ـ تقديس الرب سبحانه بما في السورة من صفات الكمال مقرونة باسمه الأعظم .. وهذا القصد قائم في الواقع ثابت وإن جحده الجاحدون ، فليس علم الخلق وعملهم (وجوباً ، أو سلباً) بمؤثِّر على ثبوت هذا الواقع .

وعن تلازم أسماء الله وصفاته الواردة في سورة الفاتحة وجدتُ كلاماً نفيساً لعلي المهائمي [-٨٣٥هـ] .. قال : « ومعرفة أسمائه بأنها الوسائط القريبة له بينه وبين خلقه .. بها يربي ويرحم ويُفضِّل ، ومعرفة توحيده بأنه رب كل ما عداه ، ومعرفة استحقاقه للعبادة أنه المنعم المتفضل المرجوع إليه .. ومعرفة افتقار العبد إليه ابتداءً بأنه الربُّ ، ووسطاً بأنه الرحمن الرحيم ، وانتهاءً بأنه ملِك يوم الدين .. ومعرفة النبوة والولاية والإيمان بالإنعام ،

ومعرفة الكفر والبدعة والفسق بالغضب والضلالة »[٧٥] .

قال **أبوعبدالرحمن** : التعبير بكلمة « التي يتقرب بها الخلق » أسلم وأفضل من عبارة « الوسائط القريبة له بينه وبين خلقه » .. ولا معنى لقوله : ابتداءً ، ووسطاً ، وانتهاء ؛ فالافتقار إلى معرفة الله ، وضرورة عبادته متلازمان ، ورحمته وملكه من معاني ربوبيته سبحانه .

وقال أبوالحسن علي بن أحمد الحَرَالِّي[٧٦] الأندلسي في تفسيره ـ كما نقل ذلك عنه البقاعي ـ : « الرحمن شامل الرحمة لكافة ما تناولته الربوبية ، والرحيم خاص بما ترضاه الإلهية »[٧٧] .

قال **أبوعبدالرحمن** : الحَرَالِّي صاحب تصوُّف وتفلسف وتنجيم

(٧٥) تبصير الرحمن وتيسير المنان ١١/١ / عالم الكتب ببيروت عام ١٤٠٢هـ ، وهذه الطبعة تصوير لطبعة بولاق .

(٧٦) قال البقاعي في نظم الدُّرر ١٠/١ : « بمهملتين مفتوحتين ، ومد ، وتشديد اللام » .

(٧٧) نظم الدُّرر ٢٤/١ .

وتخليط ، ومن ذلك التفريق بين دلالتي الرحمن والرحيم من جهة رضى الله في تدبيره الكوني والشرعي ؛ فكل ما دبَّره الله فقد أراده، وتدبيره مبناه على الرحمة ـ كما أسلفت ذلك ـ ، والرحمة فعل الرحمن ، وبلوغ الغاية فيها كائن بمدلول الرحيم الذي هو فعل الرحمن أيضاً ؛ فكان اسم الرحمن دالاً على المعنى العام للربوبية، وما دبَّره الله شرعاً فقد أراده ورضيه .. ولا نجاة للعبد إلاَّ بامتثال الشرع ؛ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد نالته صفة الرحيم باللطف.. إلا أن هذا التوفيق من جهتين :

الأولى : لم يذكرها البقاعي ، وهي فوز من انتفع بالشرع ؛ لأنه صادر عن الرحيم سبحانه .

والثانية : ذكرها البقاعي ، وهو أن تدبير الله الشرعي صادر عن معنى رحيم ؛ لعدله وإحسانه .

فأما الجهة الأولى فهي فارقة من جهة أن جزاء المتقين وهدايتهم هداية توفيق وإعانة ، وبيان كل ذلك صادر عن خصوص معنى «الرحيم » ، وليس ذلك فرقاً لغوياً ؛ لأن الرحمن صفة ذاته سبحانه

اللازمة ، والرحيم صفة ذاته الصادر عنها فعله الاختياري .

وأما الجهة الثانية فغير فارقة لا باللغة ولا باعتبار شرعي ، فالله رحيم بخلقه غير المكلف كالحيوانات .. والرحيم من معاني ربوبيته سبحانه ، وإنزال الشرع من معاني ربوبيته ، فلا معنى لتفريق الحَرَالِّي بين ما ترضاه الربوبية وما ترضاه الألوهية .. والرحمن صفته الذاتية اللازمة التي يصدر عنها بلوغ الغاية في الرحمة بمدلول « رحيم » ، وهذا الفعل يصدر من كونه سبحانه رباً للمكلَّف وغير المكلَّف ، ومن كونه إلهً للمكلفين .. وتفسير الحَرَالِّي فيه نفائس إلا أنني لا أعلم له وجوداً اليوم ، وإنما أكثر البقاعي النقل عنه، وذكر أن اسمه (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل)[٧٨].. وميزة تفسير البقاعي أنه ينقل عن تفاسير حفيلة في غاية الندرة ، وليست من المصادر العادية الدائرة في كتب التفسير ؛ فهي تضيف إلى التفاسير الموجودة جديداً .

(٧٨) انظر نظم الدُّرر ١/٤٧ .

ونحا القاضي أبوبكر ابن العربي إلى أن الأمر بحمد الله يقتضي المنع من مدح غيره ؛ فقال : « اعلموا أنَّ الباري تعالى حمد نفسَه ، وافتتح بحمده كتابَه ، ولم يأذن في ذلك لأحدٍ من خلقه ، بل نهاهم في محكم كتابه فقال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ [سورة النجم/ ٣٢][٧٩] .

قال **أبوعبدالرحمن** : بيَّنتُ فيما سبق أنَّ المدح أخص من الحمد، وأبيِّن ههنا أنَّ الحمد المحرم لغير الله هو ما كان بصيغة الحصر واقعاً واستحقاقاً .. أما أن تحمد فعلةً لمخلوق ؛ فتقول : حمدتُ فعل فلان ـ ولا تقول الحمد لفلان ـ فهذا غير محرم ، والله حرَّم تزكية النفس ؛ لأن التزكية تكون مع مغيب الشاهد بدليل قوله تعالى : ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[سورة النجم/ ٣٢]، والمدَّاحون يُحثى في وجوههم التراب ؛ لأنهم يقولون غير الحق ، ويريدون غير الحق .. والمدح بحق ولأجل الحق ليس محرماً ، وقد أثنى رسول الله ﷺ على عدد

(٧٩) أحكام القرآن ١/٤ بتحقيق علي محمد البجاوي/ دار المعرفة بيروت .

من الصحابة ومدحهم ، وهكذا يمدح أهل السلف بعضهم بعضاً، وذلك من عاجل بشرى المؤمن .. وهذه هي الضميمة الأولى من المعاني المستنبطة، والله المستعان .

* * *

[عن عثمان بن عفان ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : «**خيرُكُم ـ وفي رواية : أفضلكم ـ من تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه** » . حديث حسن صحيح .. مختصر سنن الترمذي رقم الحديث (٢٩٠٩، ٢٩١٠) ص٤٢٨-٤٢٩ .

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول: (آلم) حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**» . حديث حسن صحيح . مختصر سنن الترمذي رقم (٢٩١٢) .

وعن ابن عباص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخَرِب** » . حديث حسن صحيح . مختصر سنن الترمذي] .

فهرسة تفصيلية :

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة
مواعظ وابتهال .	بطن الغلاف الأيمن
البسملة ، وأبيات للشريف المرتضى في حب الدنيا .	١
بيانات الاستيداع (ردمك) ، وشعر للشريف العقيلي في التقوى، وهوية الناشر والطابع ، وتاريخ الطبعة .	٢
هوية الكتاب ، وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن فضل القرآن .	٣
كلام لابن الأزرق عن شروط تحصيل المَلَكَة العلمية ، وكلام للإمام ابن حزم في الرد على بعض أهل الكتاب في زعمهم : أنَّ ابن الله بمعنى علم الله .	٤
الاستفتاح ، والمقدمة :	٥-٩
استعارة الاستفتاح من الكياالهراسي، ومحمد بن الحسن الزبدي.	٥-٦
لمحة عن كتابي « تفسير التفاسير » بالإذاعة ، وما أنجزته على نهجه من تفسير آيات، ومعاودتي للمذاع بالتهذيب، وتفريقه في كتبي، واختيار جملته لتفسير التفاسير ، وأن المراد بذلك تفسير الغامض من التفاسير .	٦-٧

اسم الموضوع	رقم الصفحة
منهجي في ملء الفراغ الذي يحدثه الإخراج الفني الحديث، وبناء ذلك على منهج الأسلاف في تدوين مخطوطاتهم، وعلى اجتهادي في التقنين لعلامات الترقيم.	٧-٨
تواريخ الفراغ من هذا الكتيب المبارك .	٩
بيتان في ثمانية أمور تعرض للبشر .	٩
كلام القفَّال في المقاصد من ذكر قصص بني إسرائيل .	١٠
بيان اشتمال سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة .	١١-١٣
الفرق بين الرحمن والرحيم [حاشية] .	١١
بيان أن الربوبية خاصة ، وعامة .	١١-١٢
الرد على البدعيين في إنكارهم تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، والبرهنة على صحة هذا التقسيم [حاشية] .	١٢-١٣
بيان أن الأمر بحمد الله من معاني السورة بدليلين .	١٣-١٤
بيان أن السورة تدل على توحيد الألوهية من وجه آخر غير ما ذكر عن تضمنها أنواع التوحيد الثلاثة .	١٤
الأخبار والأوامر والنواهي في السورة، وبيان وجهها، وبيان دلالتها.	١٤-١٦

اسم الموضوع	رقم الصفحة
أسماء الله التي هي مرجع بقية الأسماء ومناقشتي للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في ذلك .	١٦-١٧
سر ترتيب التلازم بين حق الرب وما يجب على العبد من خلال أسماء الله وصفاته .	١٧
إثبات النبوات من قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ من وجهين ، ومناقشتي للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في ذلك .	١٧-٢٠
القسمة الحاصرة من البراهين ، وبيان دلالة سورة الفاتحة على أن القسمة الحاصرة من منهج القرآن الكريم .	٢٠
استدلال ابن قيم الجوزية على إثبات النبوة بقوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ومناقشتي له .	٢٠
دلالة السورة على بطلان عبادة الله بغير ما شرع .	٢٠-٢١
بيان تضمن السورة الأمر بطلب الهداية إلى الجنة في الآخرة ، وإيضاح سعة اللغة ؛ ليدل الخطاب منها على معانٍ كثيرة ، وأن ابتغاء ذلك هو الفقه في الدين بشرط وجود دلالتي التصحيح والترجيح، وتضمن السورة لثلاث هدايات خاصة؛ وكلام ابن قيم الجوزية في ذلك .	٢١-٣٣

اسم الموضوع	رقم الصفحة
تخريج حديث أحوال المارِّين على الصراط [حاشية].	٢٣-٢٥
استنباط يسر الشريعة وشمولها من سورة الفاتحة .	٢٥
كلام ابن قيم الجوزية رحمه الله عن خمسة أمور جعلها شرطاً لوصف الطريق بأنه صراط ، ومناقشته .	٢٥-٢٨
الإجماع على أن (المغضوب عليهم) اليهود ، وأن (الضالين) النصارى، وتخريج الآثار في ذلك بالحاشية، ومناقشة ابن أبي حاتم في وصف الله بالرِّقة .	٢٨-٣٠
الكلام على إلحاق المعاند والضال بصفتي اليهود والنصارى.	٣٠-٣١
دلالة القرآن الكريم على أن المغضوب عليهم اليهود ، وأن الضالين النصارى .	٣١-٣٢
يكون المعنى البياني من نص آية لنصٍّ آية أخرى معهوداً شرعياً وإن كان النص البياني متأخِّرَ النزول ، وبيان متى يستحيل تفسير السابق نزوله للاحق ، وأنه إذا أمكن تفسير السابق للاحق مع وجود تفسير آخر متعيِّن فالعبرة بالمتعيِّن .	٣٢-٣٣

اسم الموضوع	رقم الصفحة
بيان دلالة السورة على نعمة عامة ، وثلاث نعم خاصة.	٣٣-٣٦
تقسيم السورة لواقع حال الناس ، وبيان أحكام هذه الأحوال من سور أخرى .	٣٦-٣٧
لماذا يرد سبيل الله بصيغة الإفراد ، ويرد سبيل غيره بصيغة الجمع ، وتخريج بعض الأحاديث في ذلك بالحاشية .	٣٧-٤٢
عودة إلى دلالة السورة على النِّعَمِ الأربع .	٤٢-٤٤
البرهان القرآني على أن المؤمن لا يستوحش من كثرة المخالف وقلة الموافق، وتاريخ الإرهاب اللغوي بتعيير المؤمنين.	٤٤-٤٥
موافقة دعاء القنوت لآية : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .	٤٥
طلب الهداية يأتي بالدعاء المباشر .. أي يطلب الهداية بإطلاق ، وبالدعاء المقيد بهداية مُمَثَّلة بهداية أنعم الله بها على بعض عباده، وما يترتب على هذين الدعاءين من فوائد نفيسة.	٤٥-٤٦

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة
فوارق بين التوسل إلى الله بالعمل فقط، أو بالرحمة فقط، أو بالرحمة بعد أداء العمل .	٤٦-٤٧
بيان أن التوسل برحمة الله برهان على كرم الله سبحانه .	٤٧
دلالة سورة الفاتحة على آداب الدعاء .	٤٧
إعادة أقسام التوحيد الثلاثة إلى قسمين : إذ يكون أحد الأقسام الثلاثة نوعاً في القسمة الثنائية لأحد القسمين .	٤٧-٤٩
الفرق بين معنى الإلهية ، والألوهية [حاشية] .	٤٨-٤٩
ميزةُ أهل السنة والجماعة بطرد التلازم بين أقسام التوحيد، وبيان ذلك تفصيلاً .	٤٩-٥٠
عودة إلى دلالة السورة على أقسام التوحيد ، والتفريق بين العبادي والعادي والشركي .	٥٠-٥٢
من أجَلِّ مسائل الفقه في الدين حذق التلازم بين أسماء الله وصفاته سبحانه ؛ ولعلَّ هذا سر أمر الشرع بمحاولة إحصاء أسماء الله، وإيضاح بعض من ألَّف في الإحصاء ، وأثر هذا التلازم في فكر أمثال ابن تيمية رحمه الله .	٥٢-٥٣
معنى « أقماع السمسم » [حاشية]	٥٣

اسم الموضوع	رقم الصفحة
لا قيمة للتوحيد العلمي حتى يتحول إلى إيمان قلبي ، وبيان ذلك بالتفصيل .	٥٣-٥٤
دلالة إطلاق الحمد لله على إطلاق الكمال لله .	٥٤-٥٥
شرطا قبول العمل ، وعودة أحدهما إلى الآخر .	٥٥
دلالة سورة الفاتحة على إيجاب العلم بالله وبشرعه ، وعلى حسن القصد .	٥٦
إيماء سورة الفاتحة إلى تحريم الرياء ، والكبر ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك .	٥٦
دلالة السورة على إبطال قول الجبرية ، وبيان تناقضهم في الأخذ بالأسباب الدنيوية والجزاء الدنيوي ، وقعودهم عن إعمال ذلك في الدينونة لله احتجاجاً على ربهم سبحانه وتعالى .	٥٦-٥٨
إيراد ابن قيم الجوزية عشرة أوجه من سور الفاتحة تردُّ على من أنكر تعلق علم الله بالجزئيات، ومناقشته، ولَفْتَات في الحواشي .	٥٨-٦٦

اسم الموضوع	رقم الصفحة
معنى الأزل ، والكلام على مدى الصحة اللغوية للكلام المولد [حاشية] .	٦٠-٦١
نص عبيدالله الحاكم الحذّاء في تفسير الصراط المستقيم، وما بُني عليه من تفسير أهل البدع ، ومناقشة كل ذلك وتحرير وجه الصواب، والكلام عن الصحابة ﷺ .	٦٦-٧٣
دليل المودة في القربى نصاً واستنباطاً [حاشية] .	٦٩-٧٠
ردُّ ابن قيم الجوزية على هؤلاء البدعيين من شاتمي الصحابة رضوان الله عليهم ، وكون أهل السنة والجماعة هم الأولى بمحبة الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم .	٧٣-٧٥
مدى صحة « قط ما قام » لغةً [حاشية]	٧٤
علاقة حديث : «اللهم هذا منك ولك » بآية : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ومناقشة ذلك .	٧٥-٧٦
تقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأحوال المكلفين حيال ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ مع بعض المداخلة.	٧٦-٧٩

اسم الموضوع	رقم الصفحة
حال « أو » بعد « إما » [حاشية] .	٧٨
تعليل ورود صفتي الرحمن والرحيم بين معنيي الربوبية والألوهية ، وإيراد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك ، مع بعض المداخلة .	٧٩-٨٢
استقراء ابن الزبير لظاهرة سياق الحمد في كتاب الله، وتعليله لورود صيغتي : (الحمد) ، و(لله الحمد) .. وتفريقه بينهما في سياق السور، مع إضافة مني، وتلخيص سياق آخر لابن الزبير .	٨٢-٨٦
سر افتتاح بعض السور بالحمد لله ، وعدم افتتاح بعضها بذلك .. وذلك من نص ابن الزبير رحمه الله مع تعقيب وإضافة ، وبيان أن ذلك خارج استنباط المعاني من سورة الفاتحة ، وتلخيصي لما أَعتقِدُه حول هذا الموضوع .	٨٧-٩٠
ورود الحمد في القرآن استفتاحاً وختاماً ، وسرُّ ثبات الصيغة في الافتتاح ، وجواب ابن الزبير عن ذلك ، وتعقُّبي له بنصوص فيها التهديد لرسول الله ﷺ والوعيد من أجل تجريده للعبودية ـ وذلك في التحشية ، والمداخلة ـ .	٩٠-٩٣

اسم الموضوع	رقم الصفحة
الفرق بين صيغتي الرحمن والرحيم [حاشية] .	٩٤
بيان المناسبة بين الآيات الثلاث من سورة الفاتحة .	٩٣–٩٥
تصحيح الاستنباط لقراءتي ﴿ مالك ﴾ و﴿ مَلِك ﴾ وسياق نص ابن الزبير رحمه الله تعالى في ذلك، ومناقشته.	٩٥–٩٧
كلامٌ للإمام ابن جرير رحمه الله تعالى في إعجاز القرآن الكريم جعله تقدمة لجوابه عن تساؤل من قال : أي جديد في سورة الفاتحة لم يتضمنه قوله تعالى :﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؟! .. ثم جوابه رحمه الله عن ذلك ، ومداخلتي له بزيادة توجيه آخر أقرب إلى الفهم .	٩٧–١٠١
لا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه سبحانه[حاشية] .	٩٩

اسم الموضوع	رقم الصفحة
استشكالي أول الطلب تعدية الشكر بحرف الجر ، والمنع من تعديته مباشرة ، والتقديم لحل الإشكال بكلام عن الفرق بين الحمد والشكر لابن جرير رحمه الله تعالى وبمقدمات أُخَر ، والبناء على ذلك ببيان حقائق من معاني التأويل المستنبطة من حمد الله وشكره ، وبيان أن الفعل « شكر » يتعدى مباشرة إلى النعمة، ويتعدى إلى فاعلها بحرف الجر ، وأن كل فعل ليس فيه إلا التعدية بحرف الجر مقدرة تعديته مباشرة إلى فاعله ـ وهو المشكور له هنا ـ .	١٠١–١٠٧
تخريج حديث الأسود بن سريع ﷺ : « **ليس شيئ أحب إليه الحمد من الله تعالى** » [حاشية] .	١٠٥
محقق كتابٍ يعشقه ويعشق مؤلفه قد يجره إلى تسويغ أخطائه ، وترجيح ما هو عنده مرجوح [حاشية] .	١٠٦
مناقشة من ادَّعى أنَّ الحمد بمعنى الشكر .	١٠٦–١٠٧
قول الجصاص رحمه الله بتقدير الأمر بالحمد أول سورة الفاتحة ، وتأييدي له، وبيان سر التقدير وعدم الإظهار .	١٠٧–١٠٨

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة
المناقشة للجصاص رحمه الله في دلالة سورة الفاتحة على الأمر بالهداية .	١٠٨-١٠٩
كلام البقاعي رحمه الله تعالى عن دلالة سورة الفاتحة على جمع الخلق على الحق ، وعلى الشعور بمراقبة الله تعالى .	١٠٩-١١٠
توجيه قول البقاعي : إن الحمد عين الدعاء .	١١٠-١١١
مناقشة البقاعي في دعوى أن مقصود الفاتحة بالذات مراقبة العباد لربهم ، وإيضاح أن هذا المطلب نتيجة المطلب الأهم وهو تقديس الرب وإن جحده الجاحد .	١١١
كلام المهائمي عن تلازم أسماء الله وصفاته في سورة الفاتحة ، ومناقشته .	١١١-١١٢
كلام الحَرَالِّي عن التفريق بين الرحمن والرحيم ، وبيان فساد هذا التفريق ، وتعريف بالحَرَالِّي نفسه .	١١٢-١١٤
عودة إلى مناقشتي للبقاعي حول هداية التوفيق ، وميزة تفسيره .	١١٣-١١٤
زعم القاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى : أن الأمر بحمد الله يمنع من حمد غيره .. ومناقشتي له في ذلك .	١١٥-١١٦

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة
أحاديث في فضل القرآن الكريم .	١١٦
فهرس تفصيلي .	١١٧-١٢٩
تواريخ الفراغ من هذا الكتيِّب المبارك .	١٢٩
أحاديث في فضل قارئ القرآن .	١٣٠
موعظة في حاجة العبد إلى خالقه، وثلاثة أبيات لمعن بن أوس في الحكمة .	بطن الغلاف الأيسر

* * *

قال أبوعبدالرحمن : تم القسم الأول فجر الاثنين ١٤٢٢/٨/٦هـ بالرياض ، ثم تمت المعاودة منتصف الليلة التي صبيحتها يوم الجمعة الموافق ١٤٢٢/١٠/٢٧هـ جنوب تونس براً ، ثم تمت المعاودة مغرب يوم الأحد ١٤٢٣/١/١٠هـ بالرياض ، ثم تمت المعاودة فجر يوم الأربعاء الموافق ١٤٢٣/٢/٤هـ في جنيف ، ثم تمت المعاودة فجر يوم الجمعة ١٤٢٣/٣/١٩هـ في أغادير بالمغرب .. ويليه القسم الثاني إن شاء الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

[فعبادُ الله حاجتُهم إليه دائمة ؛ ليمدهم بالعون وإسباغ النعمة ، ولا يلجؤون إلا إليه ، ولا يستعينون إلا به ؛ فإذا عرفوه في الرخاء عرفهم في الشدة .. أولئك عباد الله .

اللهم اجعلنا من عبادك الذين لا سلطان للشيطان عليهم، الذين تثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

اللهم أنت خالقنا فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، يا من لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم ، واجعلنا من العاملين لك والمحبين لك ولرسولك ﷺ .. قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة / ١٠٥] .

* * *

بَلوتُ النَّاسَ قرناً بعدَ قَرنٍ فلَمْ أرَ غيرَ خَتَّالٍ وقالي
وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرًّا فما شيءَ أَمَرُّ من السُّؤالِ
ولم أرَ في الخُطُوبِ أَشَدَّ وَقْعًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

معن ابن أوس]

* * *

IND
شركة مطابع نجد التجارية
تلفون : ٤٤٨٠٢٤ - ٤٤٨٠٢٦ فاكس : ٤٤٨٠٧٥٥

www ALMKTabah.com

[عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **يجيء القرآن يوم القيامة ، فيقول : يا ربِّ حلِّه .. فيُلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا ربِّ زده .. فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول : يا رب ارض عنه.. فيرضى عنه ، فيقال : اقرأ وارق ، وتزاد بكل آية حسنة** » .

حديث حسن صحيح / مختصر سنن الترمذي برقم (٢٩١٦) .

* * *

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** » / صحيح مسلم ص(٦٨٤) .

* * *

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب** » / صحيح مسلم ص٦٣٢ .]